محمد عبد الرحمن عوض

مُعجزاتُ المسيحِ
فى الانجيل والقرآن

مُعجزاتُ المسيحْ
في الانجيل والقرآن

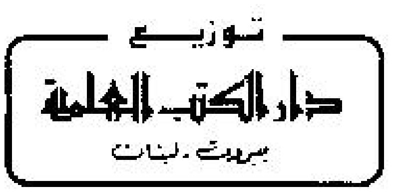

دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادي الزراعي ص . ب : ١٦٩ المعادي . ت : ٩٨٧٣٦٨

محمد عبد الرحمن عوض

مُعجزاتُ المسيحِ
فى الانجيل وَالقرآن

دار البشير
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

(الآية ٤١ من سورة إبراهيم)

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(الآية ٢٨ من سورة نوح)

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

(سورة المائدة : ١١٠ ، ١١١)

مقدمة

الحمد لله يحق الحق بكلماته ، وهو خير الفاصلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، بيده الأمر كله وإليه المصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صل وسلم وبارك على محمد النبى الأمى وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم إنك ياربنا على ما تشاء قدير :

« وبعد » .

فلقد أراد الله تبارك وتعالى أن يقيم الحجة على عباده فأرسل لهم الرسل الكرام ، وأمرهم أن يبلغوا للناس ما نزل إليهم من ربهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وكان من دعائم الرسالات المعجزات التى تحدى الأنبياء بها الناس ، كى يتبينوا عجزهم مع قدرة الله ، ويدركوا أنهم عبيد لله الواحد القهار .

وإذا جاز لنا أن نقسم الرسالة إلى عصورها .. فإنها قد انقسمت قسمين ..

الأول : وفيه من ظواهر الرسالة تعدد الرسل وكثرتهم فكنا نجد فيه الرسول يرسل إلى قومه .. وربما أرسل الله معه رسولا آخر ليعضده فى رسالته .. نجد ذلك فى مثل القرية الذى ضربه القرآن الكريم ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمُ اثنينِ فكذَّبُوهُمَا فَعزَّزنَا بثالثٍ** ﴾[1]

ونجد ذلك فى رسالة موسى وهارون ، وفى وجود يحيى بن زكريا .. ومعه عيسى ابن مريم .

الثانى : ذلك العصر الذى نعيشه والذى بدأ برسالة محمد ﷺ حيث جاء إلى الناس جميعا برسالة واحدة .. يقدمها نبى واحد .. معلنا الوحدانية فى أجلى معانيها .. وأعظم مظاهرها .

---

(١) سورة يس : ١٤

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون جوهر الرسالات فى العصر الأول قائما على الإعجاز الحسى .. والمعجزات المادية .

وأما العصر الثانى ؛ فقد اقتضت حكمته تعالى أن يقوم على الإعجاز الفكرى الذى يخاطب البشر بمختلف جوانب الحكمة إذ يخاطب فيهم ملكة التفكير ، وعنصر الوجدان ، ودوافع الإبداع ومختلف الميول — عن طريق القرآن الكريم .

وقد ختم العصر الأول بمجىء المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله طرازاً فريداً فى عالم النبوة :

فقد كان مولده إعجازاً .. ومنطقه فى المهد إعجازاً وتنوعت مجالات الإعجاز فى حياته .. حتى ظنه بعض الغافلين إلها نزل إلى الأرض ..

ولعله مما يثير العجب أن الله لم يقيض للكتب السابقة من يقوم على جمعها وحفظها :

فالتوراة ضاعت وأحرقت .. ثم زعموا أنه جاء من أعاد كتابتها وحيا .. وهذا رأى لا سند له من عقل أو نقل فلا نجد نصا يوضح لنا ذلك .. كما أن العقل يرفضه إذ لو جاء شخص كتبها **مرة أخرى بالوحى كما يزعمون لكان هو صاحب الرسالة** . ثم إنها حين ضاعت .. ضاع معها إيمان الأجيال التى جاءت قبل أن يعاد تدوينها فاقتضى الأمر أن يأتى رسول جديد بكتاب جديد .. وهكذا نجد العقل والنقل يثبتان ضياع التوراة فى صورتها الأصلية التى نزلت على موسى عليه السلام فإذا أضفنا لذلك ما تثبته وقائع التاريخ من أن اليهود هم الذين كتبوها فى السبى .. ثم أتموها بعد ذلك .. وإذا أضفنا أيضا ما تثبته القراءة النقدية لنصوص التوراة .. فإن هذا كله يوضح أن التوراة لم تسلم من التغيير والتبديل ..

أما الإنجيل فأمره أعجب من أمر التوراة إذ إن كتاباته بدأت بعد المسيح بمدة تتراوح بين الثلاثين عاما وأكثر من مائة عام .. وقد تعدد كاتبو روايات الإنجيل وكثروا جدا إلى أن اختارت الكنيسة بعض هذه الكتابات **بعد أكثر من ثلاثة قرون (أى سنة ٣٢٥ م)** ثم أمرت بتحريم قراءة الكتب الأخرى وإحراقها .. ولا ندرى أى الكتب اختاروها .. وأى الكتب أحرقوها أو حرموها .

ولعل بعض السر فى مثل هذا الذى واجهته الكتب السابقة اعتماد الرسالات فى ذلك العهد على الإعجاز المادى أكثر من اعتمادها على التوجيه العقلى والمعنوى .. وقد أشرنا إلى أن المسيح عليه السلام قد تفضل الله عليه بمعجزات وأذن لها أن تجرى على يديه ؛ وقد ظن البعض أن هذه المعجزات دليل الألوهية ، وعجزت أفهامهم عن إدراك أنها دليل على عظمة الله وحده إذ أجراها الله على يدى عيسى بن مريم ومكنه من القيام بها .

وقد يسر الله لنا دراسة هذه المعجزات فى مظانها .. ووجدنا أنها دليل رسالة عيسى وأنه نبى من عند الله أرسله .. ولا يجوز بحال أن تكون دليلاً على ألوهية ، كما وجدنا أن القرآن الكريم يذكر لعيسى بن مريم الكثير من المعجزات .. بل إنه تجاوز ما ذكره كاتبو الإنجيل وذكر معجزات لم يفطن لها هؤلاء الذين دونوا كتاباتهم عن فترة رسالة المسيح عليه السلام .

ولعلنا نكون بدراستنا هذه التى نقدمها للقارىء قد وفينا الموضوع بعض حقه ..

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

دراسة الكتب المقدسة

إن الله خلق للإنسان عقلا يزن به الأمور ، وميزه بهذا العقل عن سائر المخلوقات .. ورفعه مكانا ساميا بين الخلق كما قال سبحانه ﴿ **ولقد كرَّمْنا بنى آدم** ﴾ ؛ وهذا التكريم مرده إلى العقل الذى تميز به الإنسان ، فأصبح مكلفا .. مختاراً لكثير من أعماله محاسَبًا على ما يقدم عليه .. ﴿ **فَمن شَاءَ فليُؤمن ومن شاءَ فَلْيكْفُرْ** ﴾ ، ﴿ **مَنْ عمِلَ صالحاً فلنفسه وَمَنْ أساءَ فعليها** ﴾ .. فهو إذن الثواب والعقاب حسبما يكسبه الإنسان .

وقد أرسل الله تعالى رسله الكرام ، وأنزل إليهم الكتب السماوية لتكون حجة الله على خلقه ليكتمل التكليف ، وتتم المحاسبة .

وقد شاء الله سبحانه أن تكون الرسالة الإلهية فى حلقات متكاملة بدأت بآدم أبى البشر وانتهت بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين .. وجاءت الكتب السماوية .. تدوينا للوحى الإلهى وكل حلقة من حلقات الرسالة كانت تبدأ بكتاب مقدس ، أو تنتهى به .

صحف إبراهيم .. والزبور .. والتوراة .. والإنجيل .. هذه كتب أخبرنا القرآن بها وآمنا بنزولها على الرسل الكرام .

وقد شاءت إرادة الله أن يكون لكل كتاب أتباع هم المؤمنون المقربون إلى الله إلى حين ، حتى إذا جاء الكتاب الذى يليه طُلب إليهم أن يؤمنوا .. أو يجددوا إيمانهم باتباع الكتاب الجديد ، وكان هذا الأمر واضحا فى الكتب الأخيرة .. التوراة والإنجيل والقرآن .. فعندما جاء الإنجيل كان على أهل التوراة أن يؤمنوا برسالة عيسى الذى جاء ليتمم شريعة موسى ، وناموسه .

فلما جاء محمد ﷺ بالقرآن كان على أتباع التوراة والإنجيل معاً أن يسارعوا إلى تجديد إيمانهم بعد أن أبلاه الزمن وحوادث الأيام . إلا أن الأمر لم يكن بهذه السهولة ؛ فإن هناك ناساً قد سبق عليهم القول بالهلاك فلم يجيبوا داعى الله وإنما

حاربوه. وَألبُّوا الناس عليه .

فعندما أرسل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وطالب اليهود باتباعه وأعلن لهم أنه متمم للناموس تبعه بعض اليهود ، وعانده الأكثرون وأعلنوا أنهم لا يؤمنون إلا بالتوراة ؛ ورفضوا أن يتقدموا خطوة إلى الإيمان بعيسى ، وكان بقاؤهم جامدين نذيراً لهم بالهلاك .. وهكذا ظل قوم يدينون باليهودية إلى اليوم .

فلما أرسل الله محمداً ﷺ طالب أهل الكتاب أن يؤمنوا به فمنهم من أجاب وأسلم لله رب العالمين ، وكثيرون رفضوا رسالته ﷺ وشككوا فيها وبلغت بهم العداوة مبلغا لا يجارى ؛ وأعلنوا أنهم لا يؤمنون إلا بالمسيح عيسى بن مريم ، واتبعوا فى ذلك دعاوى أناس لم يشاهدوا المسيح ولم يرافقوه .. وتوقف الأمر بهم عند روايات يدعون أنها وحى من الله ، وما هى إلا خواطر نفس تكتب ما تتذكره .. حسبما يمليه عليها الخاطر ، بل والهوى . ويقولون هى من عند الله وما هى من عند الله(١)

لم يؤمن هؤلاء برسالة محمد ﷺ كما لم يؤمن إخوة لهم من قبل برسالة عيسى عليه السلام رغم أنهم من أتباع موسى عليه السلام .. وهؤلاء وهؤلاء فى عداد الكافرين بلا ريب . فهناك إذن من طوائف أتباع الكتب السماوية :

● أناس توقف بهم إيمانهم عند التوراة التى بين أيديهم .. وهم لا يؤمنون بالإنجيل أو القرآن . ويظنون أنهم المؤمنون ، ويزعمون أن غيرهم من أتباع الكتب الأخرى غير مؤمنين .

● أناس آمنوا بالتوراة وتقدموا خطوة وآمنوا بالإنجيل إلا أنهم لم يؤمنوا بالقرآن ، وهؤلاء أيضا يظنون أنهم المؤمنون حقا ، ويزعمون أن غيرهم فى ضلال .

● ثم أناس آمنوا بأن الله أنزل التوراة على موسى وأنزل الإنجيل على عيسى ، وأنزل القرآن على محمد فآمنوا بالقرآن تفصيلا وهؤلاء هم المؤمنون حقا لأنهم لم

---

(١) راجع مقدمة إنجيل متى ، وراجع ما كتبناه فى كتاب « الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة » .

يفرقوا بين رسل الله بل آمنوا بالرسل وبما أنزل الله من كتاب .

وقد مرت الأيام .. وكل فريق يعمل جاهداً أن تسود وجهة نظره إلى أن جاءت هذه الأيام التى تكاتفت فيها قوى الشر والبغى لتكيد للإسلام وأهله كيداً مريراً مدبراً مدروساً ، واتفقت كلمة اليهود والنصارى ـــ رغم ما بينهم من عداوة ـــ على محاربة المسلمين .. واتبعوا فى ذلك طرقاً شتى :

- حاربوا المسلمين بالمال .
- وحاربوهم بالنساء .
- وأثاروا بينهم الفتن والقلاقل .
- وتحكموا فى لقمة العيش . .
- بل وحاربوا المسلمين بالمسلمين .

وقد رأينا هجوماً شرسا من المغضوب عليهم ومن الضالين هجوما يريد أن يستأصل المسلمين .. وقد امتدت أيديهم إلى القرآن يريدون أن ينالوا منه ما ناله أجدادهم من التوراة والإنجيل ، فعملوا على أن يحرفوا الكلم من بعد مواضعه ، وعملوا على أن يعلنوا جوانب ويخفوا جوانب غيرها كما صنعوا بالتوراة والإنجيل ... وأوّلوا الآيات تأويلا يخرجها عن حقيقتها . وفاتهم أن دراسة القرآن لها وسائل وأسباب فلا بد أن يعلموا الخاص من العام والمجازى من الحقيقى والتقديم والتأخير والمحكم والمتشابه .. إلى غير ذلك من وسائل البحث . وقد استعانوا على ترويج ضلالهم بالاستناد إلى أقوال بعض السابقين .. ولم تنج هذه الأقوال من مغالطاتهم فقد يجتزئون من القول بعض العبارات التى تخدم هدفهم دون اهتمام بتمام العبارة لأنهم ربما إن أتموا العبارة جاءت عكس مرادهم .. وكانت هدما لمعتقداتهم ؛ كما أنهم ربما ينسبون عبارة إلى أحد الأئمة ويشيرون إلى المصدر إشارة مبهمة كى يوهموا القارىء أن العبارة صحيحة فإذا ما رجعت إلى المصدر لم تجد شيئا واكتشفت أنهم أحالوك على أوهامهم لا على أحد المصادر العلمية[١]

---

(١) راجع كتاب « الإسلام فى مواجهة أعدائه » تأليف : محمد على وهبة وكتاب

● ● دراسة الكتب المقدسة بين المسلم وغير المسلم

قد يقول قائل إن دراسة القرآن متاحة للمسلم وغير المسلم ، كما أن دراسة التوراة والإنجيل مما فى أيدى أهل الكتاب متاحة للجميع .. وكل فريق يرى الحقيقة من وجهة نظره ، وهذا فى ظاهره إنصاف للباحثين إلا أنه إجحاف بحق القرآن الكريم .

● فالمؤمن حينما يدرس التوراة والإنجيل .. فإنه يتحلى بالموضوعية لأنه يؤمن برسل الله موسى وعيسى وما أنزل الله عليهما من الكتب .

● والمؤمن حريص على ألا يجرح نبيا أو رسولا يؤمن به ويعتقد أن الله أرسله إلى قومه .

● كما أن المؤمن حينما يدرس التوراة أو الإنجيل فإنه حريص على أن ينبه على كل نقطة يصل إليها فى بحثه وتؤيد عصمة الأنبياء أو تثبت حقائق الإيمان كما أنه حريص على أن يقدم الدليل على بطلان ما يخالف حقائق الإيمان .

● ولا بد أن يضع المؤمن نصب عينيه ذلك التوجيه النبوى الكريم « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم فقد تكذبونهم فى حق أو تصدقونهم فى باطل** ... » (أو كما قال) لذلك فالمؤمن يتخذ من القرآن فيصلاً فى القضية ، فما وافق القرآن قبله المؤمن وأعلن ذلك وما رفضه القرآن فإن المؤمن يرفضه ويحذر من ذلك .

وليس الأمر كذلك بالنسبة لأهل الكتاب من يهود ونصارى فهم لا يؤمنون بالقرآن ولا يبالون بما يأخذون منه أو يدعون ، وحسبك بقوم تستوى عندهم أن تكون الآية كاملة أو ناقصة عندما يدونون أو أن تكون صحيحة أو محرفة .

ولهذا فإنهم حين يتخذون من آيات القرآن دليلاً على صدق شيء

« يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » د . رءوف شلبى و « مواجهة صريحة » د . عبد العظيم المطعنى .

بيانا لحالة لا يستطيعون بيانها بكتبهم .. عليهم أن يأخذوا الدلائل الأخرى على كذبهم وافتراءاتهم .

فمن عجيب مثلاً أن يبحث باحث نصرانى عن آية تتهم الإنجيل والتوراة بالتحريف فلا يجد نصا صريحا فى ذلك فيعلن مبتهجا عن ذلك قائلا : إن القرآن يشهد بصحة الإنجيل .. فى حين يتناسى الإعلان الإلهى فى القرآن حيث يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ كفرَ الذِينَ قَالُوا إنّ اللهَ ثالثُ ثَلاثةٍ ﴾(١) ويقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ كفرَ الذِينَ قالوا إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريم ﴾(٢)

فإذا كان القرآن يعلن عن ذلك والإنجيل الذى بأيدى النصارى يدور كله تقريبا حول ذلك فهل يشهد القرآن حقا بصحة الإنجيل وعدم تحريفه ؟ أم أن القرآن يهدم ما بأيدى أهل الكتاب من أساسه ؟ وإذا كان القرآن يشهد للرسل الكرام .. نوح ولوط وإبراهيم وغيرهم بالكرامة والعزة وتأتى التوراة لتلطخ هؤلاء الكرام بأبشع الجرائم وأحطها .. فهل يقال إن القرآن يشهد للتوراة ويعلن أنها صحيحة ؟ .

لو قال أحد بذلك لكان أحمق من شاب ذهب لخطبة فتاة فقال له أبوها : إن ثيابه جميلة ولكن معانى الرجولة لا توجد فيه .. فاهتز الأحمق وقال : إن الرجل يمدحنى ويوافق على أن يزوجنى ابنته . فكذا من قال إن القرآن يشهد بصحة ما فى أيدى اليهود والنصارى من كتب يزعمون أنها وحى مقدس .

● ● لماذا لم يصرح القرآن بتحريف الكتب السابقة ؟

إن الله تعالى أرسل نبيه محمداً ﷺ هاديا ومبشراً ونذيراً ؛ وهو مرسل للبشر جميعا ليستنقذهم من الضلال ويرشدهم إلى الخير ؛ فهو يخاطب فى الناس ميلهم الفطرى إلى الإيمان ويستحث فيهم طبيعة النفور من العذاب والرغبة فى تجنب الهلاك ؛ وهو يدعو الوثنى كما يدعو الكتابىّ ، والقضية الأساسية التى يود أن

---

(١) المائدة ٧٣ (٢) المائدة : ١٧ .

- وتصدى لمن أنكر الآخرة وشك فيها وأثبت له أنه على ضلال وكفر بإنكاره للبعث والنشور .

- وأعلن كفر الذين يفرقون بين الرسل ﴿ وَيقُولُونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ ﴾[1]

وهكذا كان القرآن واضحا وصريحا فى تنقية العقيدة من شوائبها .. لتكون على أساس متين فإذا تعرضنا للكتب السابقة (مثل التوراة والإنجيل) وموقف القرآن منها وجدنا القرآن يتصرف حيالها تصرف الحكيم تجاه المريض ، وسبحان من يعلم خبايا القلوب والنفوس .

ولنفترض ــ جدلا ــ أن القرآن نزل كالصاعقة على أتباع هذه الكتب .. وصدمهم بأنها كتب محرفة ، وأكثرها مفترى مبدَّل ؛ أتراهم حين يسمعون ذلك يسكتون ؟ أتراهم يفكرون فى الأمر ؟ أم أن الأمر وقتها سيكون أقرب إلى التعصب والدفاع ضد الهجوم القرآنى المباشر .

أقول ــ والله أعلم ــ لو أن القرآن نزل مهاجما لهذه الكتب معلنا براءته منها أو معلنا تحريفها لكان للموضوع وجه آخر . فلو وقع الهجوم الصريح لما وجد أهل الكتاب حيلة فى تجنب الصراع ، وما حيلة من يتعرض لهجوم وتجريح إلا التعصب لما فى يده والحرص عليه ؟

فهل كنا نتوقع أن يختلق القرآن معركة مع أتباع الكتب السابقة ؟

لقد سلك القرآن مسلكا عظيما فى الحديث عن هذه الكتب ، مسلك يتسم بالحكمة والموضوعية استنقاذا للبشر مما هم فيه من ضلال بسبب تقادم العهد .. واستقرار الباطل حتى ظهر فى نفوس الأجيال المتأخرة .. وكأنه الحق الذى لا يداخله الباطل ، ولهذا قامت دعوة القرآن لأصحاب الكتب السماوية على أسس منها :

---

(١) النساء ١٥٠

- وتصدى لمن أنكر الآخرة وشك فيها وأثبت له أنه على ضلال وكفر بإنكاره للبعث والنشور .
- وأعلن كفر الذين يفرقون بين الرسل ﴿ وَيقُولُونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ ﴾[1]

وهكذا كان القرآن واضحا وصريحا فى تنقية العقيدة من شوائبها .. لتكون على أساس متين فإذا تعرضنا للكتب السابقة (مثل التوراة والإنجيل) وموقف القرآن منها وجدنا القرآن يتصرف حيالها تصرف الحكيم تجاه المريض ، وسبحان من يعلم خبايا القلوب والنفوس .

ولنفترض ــ جدلا ــ أن القرآن نزل كالصاعقة على أتباع هذه الكتب .. وصدمهم بأنها كتب محرفة ، وأكثرها مفترى مبدَّل ؛ أتراهم حين يسمعون ذلك يسكتون ؟ أتراهم يفكرون فى الأمر ؟ أم أن الأمر وقتها سيكون أقرب إلى التعصب والدفاع ضد الهجوم القرآنى المباشر .

أقول ــ والله أعلم ــ لو أن القرآن نزل مهاجما لهذه الكتب معلنا براءته منها أو معلنا تحريفها لكان للموضوع وجه آخر . فلو وقع الهجوم الصريح لما وجد أهل الكتاب حيلة فى تجنب الصراع ، وما حيلة من يتعرض لهجوم وتجريح إلا التعصب لما فى يده والحرص عليه ؟

فهل كنا نتوقع أن يختلق القرآن معركة مع أتباع الكتب السابقة ؟

لقد سلك القرآن مسلكا عظيما فى الحديث عن هذه الكتب ، مسلك يتسم بالحكمة والموضوعية استنقاذا للبشر مما هم فيه من ضلال بسبب تقادم العهد .. واستقرار الباطل حتى ظهر فى نفوس الأجيال المتأخرة .. وكأنه الحق الذى لا يداخله الباطل ، ولهذا قامت دعوة القرآن لأصحاب الكتب السماوية على أسس منها :

---

(١) النساء ١٥٠

● أن إيمان المؤمن لا يتم إلا إذا آمن بأن الله أنزل الكتب السابقة على رسله الكرام .

● أن القرآن الكريم أتم رسالات الرسل .. ولما كان القرآن آخر الكتب نزولا فإنه المرجع الوحيد الذى يقاس عليه .. فهو قد حمل آخر خطوط المنهج الإلهى وأتمها .. ولذا فهو مصدق لهذه الكتب ومهيمن عليها ..

● أعلن القرآن أن أتباع هذه الكتب أظهروا بعضها وأخفوا بعضها .. وحرفوا الكلم من بعد مواضعه .. وهذا ــ عند العقلاء ــ دافع للمراجعة .. وقبول منهج القرآن على أنه استمرار للكتب الأخرى .

● كان القرآن فى بعض الحالات يحيل أهل الكتاب إلى كتبهم .. وهو فى ذلك يحاول أن يقنعهم ــ إن أرادوا الاقتناع ــ أنه لا يقف منهم موقف العداوة والحرب .. بل يقف منهم موقف الخاتمة من مقدماتها وموقف النتيجة من أسبابها .. فقال لأهل الإنجيل ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ..** ﴾[1] وقال لهم ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ..** ﴾[2] والعاقل إذا نظر فى مثل هذه الآية وجد ألفة مع القرآن . فالقرآن لا يدعوه إلى عداوة ، ولا يناديه إلى معركة ونزال بل يدعوه إلى فكر يتجانس مع فكره وإن كان هناك بعض الخلافات الضرورية .. وحينئذ يتفتح فكر العاقل إلى ما يحمله القرآن من خير .. فيتبعه طواعية واقتناعاً ..

● لم يهاجم القرآن أهل الكتاب ممن يقرءونه .. ولم يتهمهم فى أشخاصهم ؛ وإنما حمل لهم الاحترام الذى تفرضه أصول المحاورة .. فنجد القرآن أحياناً يوجه المسلمين إلى نوع من العلاقة بين الإسلام وما سبقه من رسالات .

فالوحى متصل منذ بدء الرسالات إلى نهايتها .. ﴿ **كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى**

---

(١) المائدة : ٤٧
(٢) المائدة : ٦٦

الذينَ مِنْ قبلِكَ اللهُ العزيزُ الحكيم ﴾[1] بل يوجه القرآن نظر المسلمين إلى وحدة الرسالة فى كل العصور وإجماعها على أنه لا إله إلا الله .. قال تعالى : **﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أرسلنَا مِن قبلِكَ مِن رُسُلنَا أَجعلنَا مِن دُونِ الرحمنِ آلهةً يُعبدُون ﴾**[2] وقد صيغت هذه الحقيقة على هيئة الأمر بسؤال السابقين .. مع أنه مستحيل مع النظر القريب إلا أنه يحمل معنى التقرير للحقيقة الجوهرية أنه لا إله إلا الله . وعلى غرار هذا الأمر يأتى قول الله تعالى : **﴿ فَإِنْ كُنتَ فى شَكٍّ مما أَنزلنَا إليكَ فَاسْأَلِ الذِينَ يَقْرءونَ الكِتَابَ مِن قبلِكَ لَقَد جَاءَكَ الحقُ ﴾**[3]

وقد يظن أحد أن الآيات تأمر النبى بسؤال الذين يقرءون الكتاب على عهد رسول الله ﷺ أو بسؤال من ينتمى إلى أهل الكتاب ممن جاء بعده .. وهذا الأمر إن صح فإنما ينسحب على من آمن منهم بالله ورسوله واليوم الآخر .. فهؤلاء وحدهم الذين يجوز للمسلم أن يسألهم .. وكان منهم على عهد رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان من أحبار اليهود ، ومنهم عدى بن حاتم وكان من النصارى . ولا يعقل أن يوجه القرآن نظر المسلمين إلى أن يسألوا غيرهم من أهل الكتاب الذين يرفضون القرآن ورسالة محمد ﷺ .

وللآية وجه آخر أن الآية ترشد النبى ﷺ إلى **﴿ الذِينَ يقرءونَ الكِتَابَ ﴾** ولم تدع هذا الإرشاد مطلقا بل قيدته بما يفيد أن المقصود به رسل الله السابقين .. فقال تعالى : **﴿ الذِينَ يقرءونَ الكِتَابَ مِن قَبلِكَ ﴾** فقوله **﴿ مِن قبلِكَ ﴾** لا تنصرف إلى الأحبار والرهبان بل تنصرف إلى الرسالات السابقة وما جاء به الرسل من كتب إلهية — وبذلك تلتقى هذه الآية فى معناها بقوله تعالى : **﴿ وَاسْأَلْ مَن أرسلنَا قبلك مِن رُسُلِنَا .. ﴾** فهى تعبير عن وحدة الرسالة .. وهى ضمن خطة القرآن فى استنقاذ أهل الكتاب لعلهم يهتدون .

---

(١) الشورى : ٣

(٢) الزخرف : ٤٥

(٣) يونس: ٩٤

وهكذا نرى أن القرآن لا ينشد الصراع ولا يبذر بذوره بقدر ما يهدف إلى توضيح الحق ، وهداية البشرية إليه . ولهذا لم يصادم أهل الكتاب إلا فيما يتعلق بعالم الغيب من وحدانية وملائكة ووحى وأمور الآخرة .. أما الكتب السابقة فقد جاء القرآن مصدقا لها فى جملتها ، ومهيمنا عليها فى تفاصيلها فهو المقياس لما فيها من تفاصيل .. وبالتالى فهو يقوم مقامها ويغنى عنها وهى لا تغنى عنه .

لقد أراد القرآن من أهل الكتاب أن يتفهموا أمر الرسالة وألا تضيق صدورهم بوحى الله تعالى وذلك حتى تقوم الحجة عليهم يوم القيامة .

● ● المغالطات فى الاستدلال والإقناع

حكى لنا القرآن الكريم مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث تتم المواجهة بين الكبراء والأتباع من الكافرين ويوجه الأتباع التهمة إلى الكبراء :

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتنا وكُبراءنَا فأضلُّونا السَّبِيلَا ﴾[1]

ويرد الكبراء على الأتباع قائلين :

﴿ أنحنُ صَدَدْناكم عَنِ الهدَى بَعدَ إذْ جَاءكم بَلْ كنتم مجرمِينَ ﴾[2]

ويوضح الأتباع السياسة التى اتبعها الكبراء لإقناعهم بالكفر فيقولون :

﴿ بَلْ مكرُ الليلِ والنهارِ إذْ تأمرونَنا أَنْ نَكفُرَ باللهِ ﴾[3]

فالقضية قضية الحيلة والمكر .. السياسة الماكرة .. والمخادعة ﴿ بَل مَكْرُ الليلِ وَالنهارِ ﴾ فالكبراء والقادة لا يفتئون يضلون قومهم بكل وسيلة مهما كانت خاطئة خادعة ضالة . ويوم القيامة ينكشف كل شيء وتظهر الحقائق . ونود هنا أن نشير إلى بعض النقاط التى يلجأ إليها كبراء أهل الكتاب من أجل تزييف الأمور وتزيين الضلال فى عقول الناس وقلوبهم .

---

(١) الأحزاب : ٦٧

(٢) سبأ ٣٢

(٣) سبأ : ٣٣

● ومن أهم المغالطات التى يتعرض لها العامة أن كبراءهم ورهبانهم حينما يتناولون اجتماع « نيقية » وهو أول مجمع مسكونى[1] يحيطونه بهالة من التقديس ويخلعون صفة القداسة على الامبراطور قسطنطين علما بأنه لم يُعَمّدْ إلا وهو على فراش الموت .. أى أنه تم الاجتماع تحت رعاية الامبراطور وهو على وثنيته .. وهذا يفسر السر فى اختيار بعض المجتمعين دون غيرهم ليقرروا قواعد الإيمان المسيحى .. وذلك بعد أن اختلف المجتمعون (وهم مئات بل عشرات المئات) . وليس مصادفة أن يختار الامبراطور بعض هؤلاء (حوالى ثلاثمائة من حوالى ألفى شخص يمثلون مختلف الاتجاهات) ، فإذا بتلك القلة التى اختارها تقرر عقائد لا تختلف عما يعتقده الامبراطور الذى لا زال على وثنيته ..

● ومن المغالطات فى عرض هذا الاجتماع على العامة أن يزعم الزاعمون أن الأساقفة المختارين قد تغلبوا على خصومهم بالحجج والمنطق والحوار ، وأحداث التاريخ تشهد بخلاف ذلك .. إذ عندما احتدم الجدل اختار الإمبراطور هؤلاء الأساقفة الذين اجتمعوا وحدهم وقرروا ما قرروه دون أن يشهد معهم الأساقفة الآخرون .. فأين الحوار .. وأين المنطق ؟

● فى العرض التاريخى لكتابة الأناجيل نتوقف عند أمرين :

الأول : تاريخ كتابة الأناجيل الأربعة المعتمدة وفيها آراء .. وأقرب الأناجيل كتابة كتب بعد رفع المسيح بثلاثين سنة .. وقيل بستين .. ومنها ما كُتب بعد المسيح بما يناهز المائتى عام ..

وعندما يعرض الكبراء هذه الحقائق يحيطونها بتأكيدات فائقة تجزم بأن الأمر أهون بكثير مما يتصور ، فهذه الكتب رغم ذلك صحيحة لا تحريف فيها ولا انتقاص . ولقدْ احتج بعض الكُتّاب[2] المسيحيين على عدم أهمية الفترة الطويلة

---

(١) مسكونى نسبة إلى الأرض المسكونة فكأنه كان يعبر عن جميع الاتجاهات فى المسيحية .

(٢) هو : السيد/ عوض سمعان فى كتابته عن « إنجيل برنابا »

التى تفصل بين المسيح وكتابة الأناجيل ، فيقول : إن كثيراً من مؤلفات الفلاسفة وكتاباتهم بقيت بعدهم أزمانا طويلة ولم يحدث أن دخلها تزييف .. وهو بذلك يريد أن يقول أن الأناجيل مثل هذه المؤلفات لم يدخلها تزييف وهذه مغالطة لما يأتى :

أ ــ إن كثيرا من الفلاسفة وغيرهم ضاعت كتبهم جملة أو ضاعت أجزاء منها كما أن الكثيرين منهم قد نسب إليهم ما ليس من تأليفهم .

ب ــ لو صَحَّ أن المؤلفين السابقين لم تضع كتبهم ولم تزيف فذلك لأنهم لم يكونوا أصحاب رسالة ولم يكن لهم أعداء كما كان لكتاب الأناجيل الذين ظلوا مطاردين قرونا عديدة كما تدل على ذلك الرسائل الملحقة بالأناجيل .

جـ ــ والإنجيل كتاب دينىّ وليس كذلك مؤلفات المؤلفين فالأمر فى الإنجيل متعلق بالعقيدة والمصير فى الآخرة وهناك مخالفون فى العقيدة ، ولهم قوتهم التى لا يستهان بها . كل هذا وغيره دليل على مدى تزيين الباطل وتزييف الحقائق . ومما يدل على عدم الموضوعية أن الكهنة والأكابر من القوم يقبلون هذا الانقطاع .. ويهونون من شأن الفترة الفاصلة .. ويجزمون بأن الأناجيل لم يلحقها شىء .. وفى نفس الوقت يشككون فى القرآن الكريم علما بأنه يتميز بما يأتى فى مجال النقد التاريخى :

أ ــ أنه الكتاب الوحيد الموروث بلغته الأصلية التى نزل بها .. وهذا لم يتحقق فى التوراة والإنجيل ..

ب ــ أنه الكتاب الوحيد الذى دُوِّنَ على عهد النبى ﷺ .. ولم يدون كتاب آخر فى عهد الرسول الذى جاء به .

جـ ــ بعد شهور من موت النبى ﷺ جمع القرآن من الصحائف ليكون كتابا متداولا .. وليكون المرجع المكتوب إذ استشهد حفظة القرآن الكريم فى غزوات الجهاد .. وقد روعى فيه أدق طريقة علمية .. فاتبع ما يأتى :

- أمر الصديق بجمع كل الصحائف (المخطوطات) عند زيد .

● كان زيد قد حفظ القرآن وكتبه على عهد رسول الله ﷺ كما حضر العرضة الأخيرة للقرآن حيث قرأ النبى ﷺ القرآن فى هذه العرضة على جبريل مرتين .

● لم يدون زيد رضى الله عنه آية من كتاب الله إلا إذا شهد اثنان بأنهما سمعاها من رسول الله ﷺ كما هى مكتوبة فى المخطوطات وبذلك دونت كل آية بشهادة اثنين أمام زيد ، ثم بشهادة الكتابات المخطوطة ثم بحفظ زيد نفسه لها .. وهكذا تمت كتابة المصحف بصورة لم يسبق لها مثيل .. بل لم نر لها مثيلا إلى الآن فى تدوين أى كتاب ، وتحقيقه تحقيقا علميا موثقا .

د ــ القرآن هو الكتاب الوحيد الذى توفرت له الرواية المتواترة .. التى عرف رواتها كابراً عن كابر ورغم كل ذلك يشوه الكبراء من أهل الكتاب صورة القرآن أمام ذويهم .. ويُحسِّنون لهم صور الضلال .

أما الموقف التاريخى الثانى الذى نقف عنده لإظهار بعض مغالطاتهم فهو تاريخ اختيار الأناجيل الأربعة والرسائل .. فقد اختيرت هذه الكتب ابتداء من عام ٣٢٥ م أى بعد ميلاد المسيح بثلاثة قرون .. وفى هذه القرون الثلاثة نلاحظ :

أ ــ لم يكن للكنيسة كتاب مختار ، بل كانت كل الكتب سواء .

ب ــ كانت بعض الكتب التى رفضتها الكنيسة فيما بعد أقوى حجة وأكثر أتباعا بدليل ذلك الصراع المرير الذى قادته الكنيسة ضد أريوس .

جـ ــ أن الكنيسة لم تعرف الطرد من الملكوت إلا بعد هذه القرون الثلاثة فلم نسمع عن طارد ومطرود إلا بعد تحريم الكتب الأخرى غير القانونية فقد ظلت الكنيسة حوالى ثلاثة قرون ونصف تعتبر الجميع قديسين .. أو على الأصح لا تعتبر شيئا إذ ليس لها قانون أو كتاب معين تحكم به على الآخرين .

وكبراء أهل الكتاب يغضون الطرف عن كل ذلك ، ويوهمون أتباعهم أن رجال القرون الأولى قد كانوا مؤمنين بحسب متى أو يوحنا أو مرقس .. وأحيانا لا يصرحون بذلك وإنما يدعونهم ليفهموا ذلك ويتخيلوه ويتركونهن وشأنهم فلا يسع الأتباع إلا أن يتخيلوا أن رجال القرون الأولى آمنوا بمثل ما يؤمنون هم به الآن ،

وهل ننتظر غير ذلك ؟ إذ لا يفترض الشخص العادى فى نفسه أنه مخالف لسنن السابقين وإلا هلك .

هذا قليل من كثير أردنا به أن ننبه إليه - قدر طاقتنا - حتى لا يأخذنا رب العزة بالتقصير فى التبليغ والتنبيه . وقبل أن ننهى هذا البحث نشير إلى بعض مغالطات الكهان فى تناولهم للقرآن الكريم .

فقد حاولوا أن يجدوا سنداً لعقائدهم فى القرآن الكريم ، ولعل مرجع ذلك أننا لا نجد شبيها لانحرافاتهم فى أى دين سماوى .. فلقد أرسل الله الرسل ، وجعل معهم كتبا . ولهم شرائع .. فما وجدنا رسولا ينادى بأن لله ولداً وما رأينا نبيا يزعم أن الله ثالث ثلاثة أو يتحدث عن خطيئة أو عن صلب أحد . كل هذا ما وجدناه إلا عند المسيحيين فهم مخالفون لكل طرق الناموس الإلهى .

بل لقد وجدنا ما يقولون - ربما بالحرف الواحد - مطابقا لأقوال الوثنيين والبوذيين(١) ولعل هذا هو السر فى أنهم يحاولون أن يغطوا موقفهم بالتمحك فى آية يقطعونها عن سياقها أو كلمة ينسبونها إلى غير معناها .. ومن هذه المغالطات :

● وأول ما يلفت النظر محاولة البعض من أهل الكتاب استغلال البسملة لتأييد الاتجاه الوثنى عندهم فيقولون « بسم الله الرحمن الرحيم » فيها ثلاثة : الله والرحمن والرحيم .. وبذلك يتأيد الثالوث الذى يزعمونه حاكما وخالقا . وسبحان الله عما يصفون . فأين ما فى البسملة من توحيد مما يدعونه من شرك ؟ .

إنه الله وحده لا شريك له يبدأ المسلم عمله وكل شئونه بالاعتماد عليه واستمداد القوة منه سبحانه .. وهو متصف بالرحمة التى لا نظير لها فهو الرحمن .. أى المتصف بالرحمة فى ذاته . « الرحيم » الذى تمتد رحمته إلى

---

(١) راجع : « مقارنات الأديان » للإمام محمد أبى زهرة ، و « الإسلام فى مواجهة أعدائه » : توفيق على وهبة ص ٢٦٥ وما بعدها .

خلقه[1] . ولو صح هذا الاستدلال أو الاستغلال للبسملة لصح لمن يدعون أن فى الكون إلهين أن يستدلوا بفاتحة الكتاب ﴿ **الحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ * الرحمنِ الرحيم** ﴾ ولانفتح باب الفوضى فى الاستدلال بلا دليل .. ولكنها المغالطات التى يلجأ إليها هؤلاء القوم .. وهى مكر الليل والنهار .

● ومن هذه المغالطات استغلال أوصاف عيسى فى القرآن بأنه « **كلمة من الله .. وروح منه** » للتدليل على ألوهيته وأنه ابن الله .. وما فى القرآن شىء من ذلك ولو كان فيه ما يزعمون لصرح به فى كل موضع إذ الأمر أمر عقيدة ولا يبثها القرآن رمزاً فيه .. إذ شأن القرآن الوضوح فى أمر العقائد خاصة حتى يعلم المؤمن حقيقة ما هو مسئول عنه يوم القيامة .

وأما أن المسيح كلمة من الله فهو لفظ كن .. ﴿ **إنما قَولُنَا لِشَىءٍ إذَا أردْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَه كُنْ فَيكُون** ﴾[2]

وأما أن عيسى بن مريم .. روح من الله فشأنه فى ذلك شأن آدم حيث قال الله فيه ﴿ **فَإذَا سَوّيتهُ وَنفخْتُ فِيه مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[3]

ويعود الأمر بعد ذلك إلى التوحيد الخالص ﴿ **قُل هُوَ الله أحَدٌ** .. ﴾[4]

● ومن المغالطات التى يوهم بها أهل الكتاب أتباعهم ، ويوقعونهم فى الشر والإشراك ، أنهم يشيرون إلى ما قام به عثمان بن عفان رضى الله عنه بتوجيه نسخة مصحف واحد إلى الأقاليم الإسلامية ، وقد أمر عثمان رضى الله عنه بإحراق ما عداه من النسخ .. وقد أرسل عثمان لكل مصر من الأمصار نسخة كاملة منقولة من المصحف المجموع على عهد الصديق أبى بكر رضى الله عنه .. فهو مصحف قد أجمعت الأمة عليه وشهد عليه الصحابة الذين سمعوه وكتبوه عن رسول الله

---

(١) ناقش الإمام رحمة الله الهندى هذا القول فى كتابه إظهار الحق .

(٢) النحل : ٤٠

(٣) الحجر : ٢٩ .

(٤) الإخلاص : ١

ﷺ . وبهذا أصبح إبقاء المصاحف الفردية خطراً على الأمة .. إذ إن بعض الصحابة كانوا قد كتبوا ما حفظوه من رسول الله ﷺ .. وهو موجود فى المصحف الكامل ولا يناقضه .. إلا أنه قد تنقص سورة أو بعض السور من مصحف عن مصحف آخر من هذه المصاحف الفردية ، ولو تركت لنالت عناية بتقادم الزمن .. وربما وجدت من يتعصب لها ويظن أنها هى المصحف الصحيح وما عداه باطل وبذلك يضيع الحق وتختلط الأمور .. وحفاظاً على هذا الحق أصدر عثمان أمره بإحراق أى مصحف ما عدا المصحف الجامع ، وبذلك اجتمعت كلمة المسلمين ولم يختلفوا حول كتابهم اختلاف اليهود والنصارى .

ورغم وضوح هذه الحقيقة نرى القوم يمكرون بأنفسهم فيعلن بعضهم أن نسخ الإنجيل لم تحرق ، كما حدث لبعض الكتب الأخرى[1] وكأنه يريد أن يقنع قومه أن الإنجيل لم يتعرض لما تعرض له القرآن . وفعلا لم يتعرض الإنجيل لمثل ما تعرض له القرآن :

فقد نال القرآن عناية فى الحفظ والتدوين والتحقيق العلمى ما لم ينل الإنجيل جزءاً يسيراً منه .

وقد نجا المسلمون من الخلاف حول القرآن فقد أجمعت عليه الأمة ولم يختلف عليه أحد .. وهذا ما لم نره لغير القرآن .

وقد منعت النسخ الخاصة من التداول رغم أنها من القرآن حتى لا تصير كتبا مستقلة تتعصب كل جماعة لما عندها ..

أما الإنجيل فإن أمر إحراق النسخ المخالفة قد تأخر قرابة أربعة قرون حيث بدأ إحراق النسخ التى لم يعتمدها مجمع « نيقية » سنة ٣٢٥ م . كما بدأت أوامر التحريم التى تحذر المسيحى من قراءة هذه النسخ أو اقتنائها .

وقبل ذلك .. كانت كل النسخ موجودة ، بل وكانت تنمو وتزيد إذ لا مانع من كتابة المزيد من الكتب .. وظلت كلها متجاورة .. إلى أن اختلط الحق

---

(١) عوض سمعان ـــ إنجيل برنابا .

بالباطل .. فلم نعد ندرى .. هل اختار مجمع « نيقية » حقا الكتب الصحيحة وأعدم الباطلة أم وقع غير ذلك وهو الأرجح ؟ .

واستمراراً فى المغالطة لا نسمع سوى عبارات تقديس فى غيرِ محلها .. وتأكيدات بصحة هذه الكتب دون سواها .. ولا يستند ادعاء من ذلك إلى أساس علمى واحد ..

وقد نبهنا إلى مثل هذه المغالطات حتى يبحث كل واحد لنفسه عن طريق النجاة الصحيح ..

نسأل الله العافية

* * *

معجزات المسيح وطبيعة النبوة

هل تجاوز المسيح عليه السلام مرتبة النبوة ؟ وهل تشهد له أعماله بذلك ؟

وبصورة أخرى نتساءل : هل المسيح أكثر من نبى ؟

وهل هو ابن الله كما يعتقد فيه المنتسبون إلى اسمه ؟

أم أنه نبى ولا يمكن أن يتجاوز هذه المكانة ؟

وإذا كان نبيا فهل تشهد له أعماله بالرسالة ؟

وحتى نفرق بين الأمرين علينا أن نعرف الفرق بين أعمال الأنبياء وأعمال الإله ...

أولا : عمل الإله :

إن الله مالك الملك وهو الخالق الذى لا يعز عليه شيء ولا يقهره شيء من خلقه ، إذا أراد فعل ، وإن شاء نفذ ، يعلم ما تكنه القلوب ويعلم السر وأخفى ، إنه متصف بصفات الجلال والكمال ، وقد وضح القرآن الكريم طبيعة عمل الإله فالقوة الإلهية لا تحدها حدود .. قال تعالى ﴿ **إنما قَوْلُنَا لِشيءٍ إذَا أَردنَاهُ أَنْ نقولَ لَهُ كُنْ فيكُونَ** ﴾[1] .. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنّ بَطْشَ ربك لَشديدٌ * إنه هُوَ يُبدِىءُ وَيُعيدُ * وَهُوَ الغفورُ الودود * ذُو العَرْشِ المجيدِ * فَعَّالٌ لما يُريدُ** ﴾[2]

فقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى فعّال لما يريد . كما بين الطريقة التى يفعل الله بها ما يريد فعله فهو سبحانه لا يستجدى المساعدة من أحد ، ولا ينزل إلى الميدان ليعمل الشيء كما يعمله الواحد منا وإنما يفعل ما يشاء بالأمر « كن » .. « فيكون » ما أراده الله تعالى ولو أراد الله تعالى هداية الناس لفعل كما قال

---

(١) النحل : ٤٠

(٢) البروج : ١٢ – ١٦

سبحانه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمنَ مَنْ فى الأرضِ كُلُّهم جميعاً ﴾[١] .. وقد ساق ذلك الأمر تهوينا لأمر الكفار على رسول الله ﷺ ، فقال له ﴿ إنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عليهم مِنَ السَّمَاءِ آيةً فَظَلّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِينَ ﴾[٢]

وهو القادر على أن يهدى من يشاء وعلى أن يضل من يشاء كما قال ﴿ مَنْ يَشَأ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأ يجعلْهُ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٣]

هذه لمحات توضح لنا قدرة الله الحق .. سبحانه وتعالى .

ثانيا : عمل الرسول :

والرسول لا يعمل شيئا من نفسه .. وإنما هو مكلف بأمر يبلغه وبرسالة يؤديها .. لا يزيد فيه ولا ينقص ولا يبدل ولا يغير .. إن عمل عملاً فبوحى من الله ، وإن جرت على يديه معجزة فبإرادة الله . لا يملك من أمر نفسه شيئا .. ولا يملك من أمر الناس شيئا كذلك فالأمر كله لله . يقول تعالى : ﴿أفأنْتَ تُكرِهُ النَّاسَ حتّى يَكُونوا مؤمنينَ ﴾[٤]

وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ إنكَ لا تَهدِى مَنْ أحببْتَ وَلَكِنّ اللهَ يهدى مَنْ يَشَاءُ ﴾[٥].

وقال سبحانه : ﴿ لَيْسَ عليكَ هُدَاهُمْ وَلكِنّ اللهَ يهدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾[٦]

وفيما أمر الله نبيه ﷺ يأتى ذلك البيان ﴿ إنما أُمِرْتُ أنْ أعبدَ رَبَّ هَذِهِ

---

(١) يونس : ٩٩

(٢) الشعراء : ٤

(٣) سورة الأنعام آية ٣٩ . ومثل هذه الآية – وأشباهها – كانت مثار شبهة عند بعض الناس فظنوا أنها تقضى على إرادة الإنسان وتجعله مسيرا فى أعماله غير مخير ، وهى فى الحقيقة تتحدث عن إرادة الله لا عن إرادة الإنسان فهو إن شاء فعل ولا عجب فى ذلك فهو الخالق القادر .

(٤) يونس : ٩٩

(٥) القصص : ٥٦

(٦) البقرة : ٢٧٢

البَلدَةِ الذِى حَرّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شيءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أكُونَ مِنَ المسلِمِينَ * وَأَنْ أتلُوَ القُرآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإنما يهتدِى لِنفسِهِ ﴾[1] .

وقال تعالى لنبيه : ﴿ فَذَكِّر إنْ نفعتِ الذكْرَى * سَيذَّكّرُ مَنْ يخشَى * وَيتجَنبهَا الأشقَى ﴾[2]

تلك هى حقيقة الرسالة ، وحدود الرسول وقدراته ، لا يتجاوزها الرسول إلى ما ليس من شأنه ، وهى حقائق لا نظن أن غيرنا من أهل الكتاب يستطيع أن يناقضها أو يطعن فيها .. ولا نظن أن عاقلاً يسمح لنفسه أن يتصور عملاً إلهياً مطلقاً يقوم به رسول ، أو عملاً رسولياً محدوداً يقوم به الإله .

فمثلا نتصور أن يوجه معنى هذه الآية للإله فيقال له مثلا أيها الإله إنك لا تهدى من أحببت .. أو يقال له ليس عليك هداهم .. كما لا نتصور أن يوجه معنى الآيات الأخرى التى تختص ببيان القدرة الإلهية إلى الرسول فيقال له مثلا أيها الرسول إنك تهدى من تشاء .. إلى آخره .

وخلاصة القول : أن عمل الله لا يحده حدود .. أما عمل الرسول فمحدود بما يريده الله من هذا الرسول ، دون أن يملك الرسول أن يزيد أو ينقص شيئا مما هو مطلوب منه قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ وَلَوْ تَقوّلَ علينا بَعْضَ الأقَاوِيلِ * لَأخذْنَا منه باليمِينِ * ثُمّ لَقطعْنَا منه الوَتِينَ * فَمَا منكُمْ مِنْ أَحدٍ عنه حَاجِزِينَ ﴾[3] وعندما نعود إلى الموضوع الرئيسى ، ونقيس أعمال المسيح عيسى بن مريم بهذه المقاييس ، لنرى هل هى من أعمال الإله أم من أعمال الرسل .

والمتأمل فى أعمال المسيح عليه السلام وسيرته كما يحكيها القرآن الكريم ، وكما يحكى بعض جوانبها الإنجيل ، يجد أن هذه الأعمال **لا يمكن أن تكون أعمالا**

---

(١) النمل : ٩١ – ٩٢ .
(٢) الأعلى : ٩ – ١١
(٣) الحاقة : ٤٤ – ٤٧

منسوبة **لإله إلا إذا كان هذا الإله عاجزاً ضعيفاً** ؛ لا يملك من أمر نفسه شيئا وكذا لا يملك من أمر هذا الكون مثقال ذرة .. وسبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

أعمال المسيح

أولاً : صلاحية الهداية :

عندما تتأمل ادعاءات المسيحيين حول المسيح تجد عجبا .. فهم يزعمون أنه ابن الله .. بل وأنه فى زعمهم إله ثم يزعمون أنه نزل خصيصا ليصلب ويقولون إن هذا هو الطريق الوحيد لتخليص البشر من الخطيئة .

فهم يزعمون **أولا** : أنه إله .. ثم يدعون **ثانيا** : أنه نزل لتخليص البشر من الخطيئة .. أى أن مشيئته اقتضت تخليص الناس .

فهل نفذ المسيح مشيئته ، وهدى الناس جميعا أم أنه اهتدى به بعض الناس وضل آخرون ؟

والجواب واضح من استقراء واقع الرسالة فقد آمن به جماعة وكفر به آخرون .. ولو كان إلهاً كما يزعمون لنفذ مشيئته .

ثانياً : ملكية الهداية والرحمة :

هل يملك الإله الرحمة والهداية ؟ **والجواب** نعم .. بلا ريب ، فهو وحده القادر على أن يغفر لمن يشاء وأن يرحم من يشاء .

فإذا كان المسيح إلها كما يدعى القوم فلماذا لم يملك الرحمة ، وإذا كان يملكها فكيف لا يهبها إلا بالصلب والضرب والهوان كما يزعمون ؟

إن أعمال المسيح عليه السلام فى هذين الأمرين لا تعدو أبداً حدودَ الرسالة .. فهو رسول فقط .. وَأَنْعِمْ بها منزلة ينالها عبد من عباد الله .. فالمسيح عبد رسول .. أعلن لقومه دعوة الإيمان فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

فليس لديه صلاحية الرحمة والمغفرة كما أنه لا يملكها لأن الله وحده القادر على ذلك .

● ثالثا : المعجـزات :

قدم المسيح عليه السلام إلى قومه معجزات باهرات تشهد له بصدق الرسالة ، لعلهم يتقون أو تحدث لهم ذكراً . ولكن القوم عاندوه وطاردوه ولم يتبعه منهم إلا القليل ممن أراد الله لهم الهداية فوفقهم إليها .

وقد تنوعت هذه المعجزات من شفاء للمرضى وإحياء لبعض الأموات وغير ذلك مما سنتناوله تفصيلا إن شاء الله تعالى .

ولكن هل المعجزة دليل على صدق الرسالة كما هو شأنها فى كل الرسالات .. ؟ أم أنها دليل على أن المسيح أكبر من رسول ... ؟

لقد زعم المتنسبون إلى المسيح أنه إله ، ويتخذون من المعجزات التى جرت على يديه دليلا على ذلك .

والحق أن المعجزة ما كانت يوما دليلا على ألوهية من قام بها ولكنها دليل على وحدانية من أمكن منها وسخرها .

وقد ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار فما مسه سوء ولم يحترق سوى القيد الذى قيدوه به .. فأى قوة تفوقت على قوة الإحراق فأخمدتها .. ؟

إنه ليس إلها .. ولكن الله تعالى هو الذى أنقذه .

وقد خلقت العصا على يد سيدنا موسى خلقا آخر فصارت حية تسعى ، والتهمت عصىّ السحرة وحبالهم ...

فهل عرفنا عصا تحولت إلى حية إلا هذه .. ؟

وهل عهدنا أن تأكل الحية الحبال والعصى ؟ .

ونفس العصا التى تحولت إلى حية تسعى .. قد ضرب بها موسى الحجر فتفجرت منه عيون الماء ، كما أنه ضرب بها نفسها البحر فانفلق فصار كل فِرْقٍ كالطود العظيم ...

وموسى ليس إلها ولا ابنا للإله .. ولكن الإله الواحد هو الذى سخر له العصا يفعل بها كل ذلك .

ويشذ المتسبون للمسيح عن كل الرسالات فيزعمون أن رسولهم إله أو ابن للإله .. تعالى الله عن ذلك ...

ولو كان المسيح إلها أو ابنا كما يقولون لصارت المعجزات التى جرت على يديه دليلا على العجز لا على القوة بل ربما كانت دليلا على الخديعة الكبرى التى أوقع الإله فيها خلقه .. فهو يختفى أو يتخفى فى ثوب بشرى ويقوم ببعض الأعمال التى لا تليق بإله بل هى أولى بالبشر الضعيف .. ثم يدعوهم إلى اتباعه شأن البشر فى دعواتهم .. ويكذبه البعض بل القسم الأكبر من الناس ويرفضونه .. وإذا بهم يرفضون الإله أو ابنه فأى خديعة أكبر من هذه ؟ وهل يوجد إله مخادع كهذا ؟ فلقد خدع عبيده ونصب لهم فخاً وأعطاهم فريسة سهلة للشيطان .. لأنه لم يظهر لهم على حقيقته .. فكان أن هلك به الناس ولم يخلصهم من خطاياهم كما يزعم المتسبون إليه .. بل زادهم شراً وفسوقاً .

إن المعجزة قوة للأنبياء ، ويقينا للأتباع .. أما إذا قام الإله بمعجزة جرت على يديه فهى أضعف من أن تدل عليه .

لقد قام المسيح عليه السلام بمعجزات عظيمة تدل على أنه نبى صادق ورسول أمين .. ولا أكثر من ذلك .

كما أن المسيح عليه السلام جمع كثيرا من معجزات جرى شبيهها على أيدى الأنبياء السابقين عليه ، وليس لنا أن نتعجب لذلك فهى إرادة الله تعالى ، ولكن لنا أن نبحث عن بعض جوانب الحكمة بذلك .

- فالمسيح آخر أنبياء بنى اسرائيل .
- وهو آخر الأنبياء قبل رسول الله ﷺ .. فهو مبشر به .. مؤذن ببزوغ فجر جديد للرسالة .

لقد انتهى بالمسيح عهد من عهود الرسالة ميزته المعجزة المادية التى جرت على أيدى الرسل أمام أعين البشر ، وآن الأوان كى يُظل البشرية عهد رسالى موحد .. يكون فيه رسول واحد وكتاب واحد .. ويكون الكتاب هو الرسالة والمعجزة فى آن .

وفى النهاية يأتى إيجاز سريع ، وتلخيص مميز لدروس الرسالات السابقة حتى تبقى فى ضمير المؤمنين إلى يوم القيامة ..

- هل تذكر أيوب وقد مسه الضر وكشف الله عنه ضره ..؟
- وهل تذكر يعقوب حين ابيضت عيناه من الحزن على يوسف وأخيه .. وقد جعل الله من قميص يوسف وسيلة ردت إليه بصره ؟ .
- وموسى عندما أمر قومه بذبح بقرة ، وضربوا القتيل ببعضها فقام وأخبر عن قاتله بعد أن تبادل القوم الاتهامات ؟ .
- وهل تذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها .. فأماته الله مائة عام ثم بعثه ؟ وبعد أن اندهش من المدة التى قضاها أظهر الله له المعجزة فى : طعامه الذى لم يتلف رغم طول المدة .. ثم فى حماره الذى كان قد تحلل ، وتقطعت أوصاله وتناثرت عظامه .. وإذا بالعظام تتجمع بعضها إلى بعض وإذا باللحم يكسوها .. وإذا بالحمار يقف على قدميه ..؟ !!!
- ثم عصا موسى وما حملته من عجائب ..؟ !!
- ثم ملك سليمان وما كان فيه .. ؟ !!

كل هذا وغيره جرى على أيدى رسل الله وأنبيائه ومنه ما عرفناه ، ومنه ما لم نعرفه .. إذ لم نعرف سوى ما قصه الله علينا فى كتابه أو ما حكاه رسول الله ﷺ فى سنته المطهرة .

ويأتى المسيح عيسى بن مريم تذكيرا بالقدرة الإلهية ابتداء من خلق آدم من تراب .. إلى يحيى الذى آتاه الله الحكم صبيا .

وهكذا جاء المسيح عليه السلام إيذانا بخاتمة وبداية ؛ خاتمة تعدد الرسالات وتتابعها .. وبداية توحيد الرسالة .

والخلاصة أن المسيح عليه السلام لم يكن ينفذ مشيئته ، ولم يكن فيما جرى على يديه سوى عبد من عباد الله أراده الله على صورة خاصة .. فما كان من

المسيح عليه السلام إلا أن يكون كما أراد الله .. ولا حيلة له .

والمعجزات التى قام بها ما هى إلا دلائل رسالة وليست قرائن ألوهية .

* * *

معجزات المسيح فى الإنجيل

تمهيد :

عندما نتناول معجزات المسيح كما عرضها الإنجيل نلاحظ أن هذه المعجزات قد سيقت فى إطار يجعلها دليلا على أن المسيح عبد رسول وهذا الإطار تحدد معالمه النقاط التالية(١):

● إن المسيح عليه السلام لم ينسب هذه المعجزات إلى نفسه وإنما حرص على أن يربطها بالسماء .. بالإله القادر فهو عندما أطعم الجموع بخمسة أرغفة وسمكتين .. « **فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسّر** » متى : ١٤ :١٥ — ٢١ ، مرقس ، ولوقا .

ومرة أخرى « **أخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر** » متى ١٥ : ٣٢ — ٣٨ .. فهو لم يفعل من عند نفسه وإنما اتجه مصليا إلى السماء كى تعينه ... وقد استجاب الله لتضرعاته وتطلعاته إلى السماء .

وفى متى حديث عن المفلوج .. « **حينئذ قال للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك ، فقام ومضى إلى بيته فلما رأى الجموع وتعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطاناً مثل هذا** » .

والأمر واضح أشدّ الوضوح فقد مجدوا الله .. والله ليس المسيح فالله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا .. والناس منهم المسيح عليه السلام ..

● كان المسيح عليه السلام ، يضطرب ويخاف الفشل عندما كان يقوم بالمعجزة ، مما يدل على أنه ليس إلها بل هو نبى .. ينظر إلى السماء ويضطرب ..

---

(١) راجع : « المسيح إنسان أم إله » تأليف : محمد مجدى مرجان ص ٦٨ وما بعدها .

بل ويبكى أحيانا كما حدث عندما ذهب لإحياء لعازر شقيق مريم ومرثا :

جاء فى يوحنا « **فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ، وقال : أين وضعتموه ؟ فقالوا له : ياسيد تعال وانظر ، بكى يسوع فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه .**

وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت ؟ فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر ... فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى .. »

والمتأمل فى هذا النص يجد :

دليل الخوف : انزعج بالروح واضطرب ...

ولما سمع قول اليهود : ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى ... » انزعج يسوع فى نفسه ...

ولا مبرر لهذا الانزعاج إلا الخوف من الفشل .

ولو كان إلها ما راوده هذا الخوف .

أن المسيح لم ينسب المعجزة لنفسه بل نسبها لله تعالى وشكره وجعل هذا : لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا **أنك أرسلتنى** ... فهذه الرسالة .

كان المسيح زاهدا فى المعجزات يضيق إذا طلبها منه الناس أحيانا . المعجزة لها هدف محدد وهو حمل الناس إلى طريق الهداية .. فهى ل للتسلية .

فعندما ذهب إليه خادم الملك لشفاء ابنه « **فقال له يسوع لا تؤمنون تروا آيات وعجائب** » يو ٤ : ٤٦ - ٥٢ .

« **فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السما**

يجربوه فتنهد بروحه وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يُعطى هذا الجيل آية ثم تركهم ودخل السفينة ومضى » مر : ٨ : ١١ – ١٣ .. فقد أصر على ألا يريهم آية .

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية .. » مت ١٢ : ٣٨ ، ٣٩ .

فقد كان المسيح يضيق بعدم إيمانهم ، ويرى أن هذه المعجزات لا تصنع شيئا بل ربما ازداد بعضهم جحودا ونكرانا كما فعل بعض اليهود عندما شاهد عيسى إنسانا أخرس مجنونا فلما أخرج منه الشيطان تكلم الأخرس وكان التعليق **« برئيس الشياطين يخرج الشياطين .. »** مت : ٩ :٣٢ – ٣٤

ومرة أخرى : **« قالوا هذا لا يُخرِجُ الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين »** مت ١٢ :٢٣ – ٢٤ .

كان المسيح عليه السلام حريصا على إخفاء هذه المعجزات فلم يكن يريد أن تدوى الألسنة بالحديث عن أعماله والخوارق التى أجراها الله على يديه بل كان يود للجميع أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له ..

فعندما شفى الأبرص .. وذهب عنه البرص .. فانتهره وأرسله للوقت وقال له : **« انظر لا تقل لأحد شيئا »** مر ١ :٤٠ – ٤٤ .

فالمسيح ينتهره أى يشدد عليه حتى لا يقول شيئا لأحد ..

وعندما أعاد البصر لأعميين وجه لهما نفس التوجيه السابق .

« فانتهرهما يسوع قائلاً : انظرا لا يعلم أحد .. » متى ٩ : ٢٧ – ٣١ .

وأعمى ثالث قال له المسيح : **« لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية »** مر ٨ : ٢٢ – ٢٦ .

وكانت معجزات المسيح مثار جدل على مر العصور .. وقد أنكرها كثيرون من المفكرين ، بل ومنهم من أنكر شخصية المسيح وزعم أنها لا وجود لها ، وأنها

شخصية خيالية رسمها الحس الشعبى فكانت أسطورة .. فإذا كانوا قد أنكروا الشخصية .. فمن باب أولى تكون المعجزات أحق بالإنكار عند من لا يؤمنون .

وقد ذهب أناس إلى أن هذه المعجزات ما هى إلا نوع من السحر أو قوة الإيحاء .. حيث كان المسيح يتمتع – فى نظرهم – بقوة نفسية تستطيع التأثير فى غيرها .. بشرط قبول هذا الغير لذلك التأثير .. فإذا توفرت القابلية لدى شخص ما فإنه يحدث فيه التأثير المطلوب ..

ولا يخفى علينا ما فى هذين الاتجاهين من خروج على قواعد الموضوعية ، وإنكار لمسلمات التاريخ ، ومجافاة للعقائد والأديان على مر العصور ..

والمنتسبون للمسيح داروا حول هذه المعجزات وفسروها تفسيراً يتفق – أو يخدم – وجهة نظرهم ، ويؤكد على الزعم بألوهية المسيح عليه السلام – وهذا رأى ألجأنا إلى فساده وسيتضح لنا ذلك بصورة أشمل عند دراستنا لمعجزات المسيح عليه السلام .

وقد جاء القرآن فوضع معجزات المسيح فى وضعها الصحيح كما سيظهر لنا من خلال البحث إن شاء الله تعالى .

✿ ✿ ✿

ميلاد المسيح عليه السلام في الإنجيل والقرآن

البشارة بيحيى عليه السلام فى الإنجيل[1]

كان زكريا وزوجه الياصابات قد تقدما فى السن ، وكانت المرأة عاقرا ، ويبدو أن هذا كان عيباً وعاراً على المرأة .. إذ إن الياصابات لما حبلت قالت « **هكذا قد فعل بى الرب فى الأيام التى فيها نظر إلىَّ لينزع عارى بين الناس** » .

جاء دور زكريا ليدخل إلى هيكل الرب وينحر .. « **فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمِعَتْ ، وامرأتك الياصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته** ..»

ومن اللافت للنظر أن الإنجيل يعتبر زكريا مجرد كاهن وليس نبياً إذ بدأت هذه الإرهاصات بهذه العبارة « **كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا** .. » فهو كاهن .

وشىء آخر يلفت النظر إليه وهو قول الملاك لزكريا :

« .. **لأن طلبتك قد سُمِعَتْ** .. » ولم تسبق عبارات توضح ما طلبه زكريا أو طريقة طلبه لحاجته ، وعلى أى حال فيمكن أن نفهم أنه طلب أن يكون له ابن كغيره من الناس .

وقد تساءل زكريا عن كيفية معرفة ذلك « **فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا ، لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا**

---

(١) ذكرت هذه الإرهاصات فى (لوقا : ١ : ٥ ـــ ٢٥)

جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته » .

فقد كان زكريا شيخا ، ولم يعلم كيف يتم له ميلاد غلام ، وكان عقاب شكه أن انعقد لسانه فلم يقدر على الكلام لأن الذى كلمه هو الملاك الواقف أمام الرب ..

فكان أن خرج زكريا على القوم « **لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل فكان يومىء إليهم وبقى صامتا** » وقد تحددت مدة العقوبة — وهى الصمت وعدم القدرة على الكلام — إلى أن يولد الغلام « **وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا** » .. فهى تسعة أشهر حسب الحمل الطبيعى للمرأة ..

البشارة بيحيى عليه السلام فى القرآن

لم تكن البشارة بيحيى عليه السلام منفصلة عن إعداد مريم عليها السلام للدور التاريخي الذى اختارها الله له ...

فقد كانت أم مريم (امرأة عمران) نذرت ما فى بطنها محرراً لله تعالى .. وقد أوفت بنذرها وجردت ابنتها للعبادة وعاشت مريم فى محرابها .. تستقبل رزق الله لها .

وكان كفيلها نبى الله زكريا عليه السلام ، وكان زكريا يتابع مريم ، ويرعى شئونها فكان إذا دخل عليها وجد عندها من ألوان الرزق والخيرات ما يلفت انتباهه ..

وما كان لينتبه إلى هذه الخيرات لو كانت من جنس المعهود فى البلد من خيرات .

فلو كان عندها برتقال وعنب فى موسمهما ومما اشتهر فى هذا البلد لما استرعى ذلك انتباه سيدنا زكريا .. فليس من الضرورى أن يحضر لها كل شيء بنفسه ،

وربما يحضر لها بعض الناس ما يهدونه إليها .

إلا أن ما كان يراه سيدنا زكريا عند مريم كان من غير المعهود .. إذ ربما وجد عندها العنب فى غير موسمه أو غيره مما لا تعرفه البلاد ..

وهذا حدا بسيدنا زكريا أن يسأل مريم . ويروى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى ﴿ وَكفَّلهَا زكريا كُلّمَا دَخلَ عليهَا زكريا الـمِحْرَابَ وجدَ عندها رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيمُ أَنّى لَكِ هَذَا قالتْ هُوَ مِنْ عندِ اللهِ إنّ الله يرزقُ مَنْ يشَاءُ بغيرِ حساب . هُنَالِكَ دَعَا زكريا رَبّه قالَ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ ذُريةً طيبةً إنّكَ سميعُ الدعَاءِ . فَنَادَتْهُ الملائكةُ وَهُوَ قائم يُصلّى فى المحرابِ أَنّ الله يُبَشِّرُكَ بيحيى مُصَدّقاً بكلمةٍ مِنَ اللهِ وَسيداً وَحصُوراً وَنَبياً مِنَ الصّالحينَ ﴾ (١)

وقد ربط سيدنا زكريا بين ما قالته مريم ﴿ هُوَ مِنْ عندِ اللهِ إنّ الله يرزقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حِسَابٍ ﴾ .. وقد توسل إلى الله أن يرزقه رزقا يعلو على الأسباب ..

فإذا كانت الأسباب تقضى أن لا يجد الإنسان الفاكهة إلا فى وقت معين تنضج فيه .. فإن الإرداة الإلهية قد تجاوزت هذه الأسباب مع مريم ، وجاءها رزقها من عند الله دون اعتماد على الأسباب الظاهرة .. وقد طلب زكريا عليه السلام أن يرزقه الله ذرية طيبة .. رغم أن الأسباب لا تسعفه .. إلا أن إرادة الله فوق الأسباب ..

وجاءته البشرى وهو يصلى فى المحراب لقد وعده الله بيحيى :

- ويحيى مصدق بكلمة من الله ...
- وهو سيد .. مطاع بين قومه .. له مكانته .
- وحصور .. لا يرغب فى النساء ...
- ونبى يحمل رسالة الله ويدعو إلى شريعته ..
- من الصالحين ..

---

(١) آل عمران : ٣٧ - ٣٩ .

وقد ارتبطت البشارة بسيدنا يحيى عليه السلام بالبشارة بسيدنا عيسى عليه السلام من وجهين :

أحدهما : عندما طلب زكريا من ربه أن يهبه ذرية طيبة فقد كان هذا الطلب عندما وجد عند مريم — وهو كفيلها — رزقا ، مما استرعى انتباهه ...

الثانى : مع ذكر أوصاف يحيى قبل ولادته وهذا فى ثنايا البشارة به حيث قال الله : ﴿ **إنّ الله يُبشرُكَ بيحيى مُصَدِّقاً بكلمةٍ مِنَ اللهِ ..**﴾ مما يشير إلى أن يحيى سيكون معاصراً للمسيح عليه السلام الذى ولد بأمر الله وبكلمة منه .. فجاء من غير أب تنفيذا لمشيئة الله تعالى وسيكون يحيى أول المصدقين ..

وقد أراد سيدنا زكريا أن يستوثق من الأمر .. ولا يعنى ذلك أن فى وعد الله شكا وريبة ، بل إنه يستوثق من أجل نفسه حتى لا تراوده بسوء ، وخصوصا فى أول حمل الزوجة حيث لا يظهر الحمل ... بل يظل مستكنّا إلى حين .. حتى تظهر آثاره ..

فسيدنا زكريا لا يتهم ربه .. بل يتهم نفسه التى يمكن أن تُلح ويتهم فيها قلقها ولذلك فقد تساءل عَقِب البُشرى : ﴿ **قالَ رَبِّ أنّى يكونُ لى غُلَامٌ وكانتْ امرأتى عَاقِراً وَقَدْ بلغتُ من الكِبَرِ عِتياً** ﴾[1]

فهو قد كبر .. وبلغ سن الشيخوخة العاتية التى يكون فيها الإنسان أقرب إلى الحطام الفانى .. والزوجة عاقر لا تلد .. وهذه موانع طبيعية إلا أن الله تعالى يبين لنا أن الأسباب ليست تجرى على الله ، فقال تعالى رداً على تساؤل زكريا عليه السلام : ﴿ **قَالَ كذلِكَ قَالَ رَبُّك هُوَ عَلىَّ هَيِّنٌ وقدْ خلقتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَم تَكُ شيْئاً** ﴾[2] .

ويبين المولى سبحانه وتعالى أنه القادر على كل شيء . فالأسباب كما قلنا لا تملكه وإنما هو الذى يملكها ويسخرها .. وقد خلق الله الإنسان ، ولم يكن شيئا مذكورا .. فليس عجيباً أن يجعل العاقر تلد ، وأن يجرى فيها أسباب الحمل

---

(١) مريم الآيات ٨ وما بعدها .

(٢) مريم : ٩ .

والولادة والرضاع ، وكذا الشيخ الكبير .

وقد طلب زكريا عليه السلام آية .. يطمئن بها قلبه أكثر وأكثر .. وكان يمكن ألا يطلب آية .. بل كان يمكن أن يستند سيدنا زكريا إلى إيمانه ويقينه ولكنها إرادة الله تعالى أن يوجه زكريا إلى طلب آية حتى تكمل هذه الآية سياق المعجزة .. معجزة يحيى عليه السلام وبعدها معجزة ولادة المسيح عيسى بن مريم .. وهى معجزة تقوم على خرق الأسباب ..

﴿ قَالَ رَبِّ اجعلْ لى آيةً قَالَ آيتُكَ ألّاَ تُكلِّمَ الناسَ ثلاثَةَ أيامٍ إلاّ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبّكَ كَثِيراً وَسَبّحْ بِالعَشىّ وَالإبكَارِ ﴾(١)

ويقول سبحانه أيضا مبينا طلب الآية **﴿ قَالَ رَبِّ اجعَلْ لى آيةً قَالَ آيتُكَ ألاّ تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوياً * فَخَرَجَ على قومهِ مِنَ المحرابِ فَأوْحَى إليهم أَنْ سَبّحُوا بُكرةً وَعَشياً ﴾**(٢)

وجاءت الآية التى طلبها سيدنا زكريا عليه السلام مزدوجة الإيحاء .. فقد كانت الآية مرتبطة بالنطق .. والعجيب أن سيدنا زكريا لم يحتبس لسانه نهائياً .. ولو كان لفقدت المعجزة دلالتها العامة .. والله أعلم ..

إن اللسان إذا توقف توقف عن كل شيء ، وإذا انطلق انطلق بكل شيء لا يرده إلا خوف من النطق بكلمة ، أو الحياء من النطق بها .. أما أن ينطلق اللسان بكلام خاص فى اتجاه خاص ويحتبس عما سواه . فهذا ليس فى مقدور أحد إلا الله ..إنه القادر على أن يجعل اللسان لا يتحرك إلا بذكر الله ، ويمنعه عما سواه ، ولو أراد أن ينطق بما سواه لما قدر عليه إلا أن يسمح له ربه . وكانت هذه هى الآية :

- لن يقدر زكريا على الكلام مع الناس .
- ومع ذلك لن يكف لسانه عن الذكر والتسبيح .

---

(١) آل عمران : ٤١ .

(٢) مريم : ١٠ ، ١١ .

وهكذا جاءت دلالة الآية التى طلبها سيدنا زكريا .. فهى تتعلق بتسخير الخلق حسب إرادة الله تعالى .

فاللسان موجود .. ولم يصب صاحبه فى قدراته النطقية بل هو صالح .. ومع ذلك لا يتحرك حسب إرادة صاحبه بل حسب إرادة خالقه .. وقد ورد الزمن فى الآيتين على صورتين :

- أن الانقطاع عن الناس وحديثهم سيكون ثلاثة أيام .
- وجاء فى الثانية أن الانقطاع سيكون ثلاث ليال سويا .

وليس فى التحديد تناقض بين الآيتين ، فالتحديد الثانى جزء والأول كل ..

فالأيام تعنى الليل والنهار فهى كل .. والليالى جزء من الأيام وقد يكون ذكر الليالى لما فيها من خلوة وقرب .. وهكذا احتبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام مع الناس ولم يحتبس لسانه عن ذكر الله وتسبيحه .

الفرق بين البشارتين

أول ما نلمحه من فرق بين البشارتين أن بشارة الإنجيل تعتبر زكريا مجرد كاهن فى المعبد .. والقرآن يذكر أنه نبى رسول ..

والثانى : أننا نجد المدة التى ذكرها الإنجيل لاحتباس لسان زكريا هى تسعة أشهر .. وزعمت أن ذلك كان عقوبة لشك زكريا فى البشارة وهذا يخرج الأمر عن نطاق المعجزة .. فكما قلنا إن سياق القرآن يبين أن كل عمل بارز فى هذه الفترة إنما هو خطوة على طريق البشارة .. تلك البشارة التى تتطلب أن تتهيأ الأذهان لقبولها على أنها تتسق مع القدرة الإلهية .. وحتى لا تضل فيها العقول :

- الرزق يأتى مريم بلا أسباب .
- ويرزق سيدنا زكريا بابنه يحيى رغم عجز الأسباب .
- ويتوقف لسان زكريا عن كل الكلام ولا يتوقف عن التسبيح لمدة ثلاثة أيام .

ومع هذه الخطوات المنطقية تكون العقول مستعدة لاستقبال مولد المسيح بدون أب على أنه معجزة إلهية ، فهو بشر من البشر ولد من الأم دون حاجة إلى الأسباب الظاهرة ، وهو التقاء الرجل بالمرأة .

ولهذا لم يكن عجيبا أن نرى أن الذين اعتبروا صمت زكريا عقوبة له .. ذهبوا إلى الادعاء بأن عيسى إله أو ابن لله .. مما يبين أنهم لم يصلوا إلى حقيقة الأمر .. أما الاتجاه القرآنى فقد وضح حقائق الأمور ومدى ارتباطها بالبشارة فجاءت النتيجة أن اعتبر ميلاد المسيح عليه السلام معجزة فى سياق المعجزات .. معجزة لا تتعدى حقائقها .. فهو بشر رسول وهو عبد الله ورسوله .

البشارة لمريم عليها السلام

أولا : فى الإنجيل :

« فى الشهر السادس أُرسِلَ جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم . فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية .

فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله . وهوذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً . لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله . فقالت مريم هُوذَا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك . فمضى من عندها الملاك » لو ١ : ٢٦ - ٣٨ .

هذه البشارة نرى فيها جبريل يظهر لمريم العذراء ويسلم عليها ويوضح النعم

التى أنعم الله عليها بها ومباركتها .

- اضطربت مريم من كلامه ... ومع اضطرابها لم تنطق وإنما شغلها الفكر فى هذه الأقوال ...

- يطمئنها الملاك بأنها ستحبل وتلد ، وذكرها باسم المولود ...

- ركزت البشارة على أوصاف الألوهية التى يحاولون أن يلصقوها بعيسى عليه السلام فتزعم أنه :

* ابن العلى .

* يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه .

* يملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية .

* القدوس المولود منك يدعى ابن الله .

وإذا دققنا أمام هذه الأمور وجدنا أنها بشارات تجاوزت حدود ما علمناه من الواقع ..

فالمسيح عليه السلام لم يأخذ كرسى داود .. اللهم إلا إذا أردنا بالكرسى المكان المعنوى .. وهذا التفسير لو صح لفتح المجال للكثير من الأهواء التى لا تحدها حدود ... والمعروف أن داود كان ملكا كما كان ابنه سليمان ملكا .. والكرسى بالنسبة لهما كان عرش المملكة .. فهل أصبح المسيح ملكا كما كان داود ملكا ؟ .

والإجابة يقدمها الواقع فهو عليه السلام لم يكن ملكا فى يوم من الأيام .. وأما ما نسبه إليه المتسمون باسمه وزعمهم أنه إله أو ابن إله فليس بديلا لهذه البشارة .. فكيف يكون إلها ــ كما زعموا ــ ويبشر بأنه سيصير ملكا ، ولا تتم له هذه البشارة ؟ ..

أما البشارة الثانية وهى « أنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد .. » فهل ملك على بيت يعقوب ؟ .. والواقع يعطينا إجابة على ذلك .. إذ كان حواريوه وأتباعه من غير بيت داود لو صح ما روى عن تاريخهم .. فأين ملكه على بيت

يعقوب ؟ .. ناهيك عن قولهم « ولا يكون لملكه نهاية » .. ولا ندرى لذلك تفسيراً فى الواقع إلا أن نلجأ إلى التفسيرات الخيالية لنتخلص من هذا المأزق فنقول مثلا إن المملكة أو الكرسى الذى أعطيه عيسى بن مريم هو قلوب بعض الناس .. وأن المقصود بآل داود أنهم ليسوا بنى إسرائيل بل هم رمز يشير إلى غيرهم .. وهكذا إلى غير ذلك من تفاسير تبعدنا عن الحقيقة أكثر مما تقربنا إليها .

ثم نأتى إلى الجزء الأخير من البشارة لنجد أنها تتحدث عن تسمية المسيح عيسى بن مريم .. فهى تزعم أنه سيدعى « ابن الله » وهذه البشارة إذا أضيفت إلى سابقاتها دل ذلك على زيفها كما سبق أن رأينا زيف غيرها وبعدها عن الواقع ... فمن المستبعد أن يأتى الملك ليقول لمريم إنها ستلد قدوساً يدعى ابن الله .. وعلى فرض صحة هذه النبوءة فإنها تؤخذ على أنها بيان للبهتان الذى سيتعرض له المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .. فكأن النبوءة تشير إلى ما سيرتكبه الناس فى حقه حيث سيزعم فريق منهم أنه ابن الله .. وتعالى الله أن يكون له ولد ...

وإذا كانت النبوءات السابقة قد احتاجت إلى تأويل لتتحقق ولو معنويا .. فإن هذه النبوءة أيضا يمكن أن يقال فيها ــ لو صحت ــ أن المراد بها قربه من الله .. وأنه تحت رعاية الله تعالى .. أما البنوّة حسبما يراد بها إشراكه فى الألوهية فهذا بعيد ومرفوض حسب منطق الرسالات جميعا إذ لم يسبق أن زعمت رسالة من الرسالات ابتداء من نوح .. بل من آدم أن لله ولداً ...

فتفسير البنوّة يكون إذن كتفسير العيال فى قول الله تعالى فى الحديث القدسى ما معناه « الأغنياء وكلائى .. والفقراء عيالى ... » .

فإذا ما تتبعنا الرسالات جميعها وجدنا أنبياء الله تعالى ينادون فى قومهم أن لا إله إلا الله ... هذا ما يطالعنا عندما نقرأ أخبار الأنبياء فى التوراة رغم ما يثار حولها ..

بل إننا نجد التوراة (العهد القديم) تنحو أحيانا منحى التجسيم فتتخيل الإله

باكيا أو مرهقا .. أو ملاعبا إلا أنها لم تتحدث مطلقا عن ابن الله . وقد بحث البعض فى مظاهر الوثنية فى التوراة فما أشار إلى التعدد أو التثليث .. بل أشار إلى نقاط أخرى .. كتصوير الإله فى صورة لا تليق .. أو غير ذلك ..

ثانيا : البشارة فى القرآن :

يقول تعالى : ﴿ **إنّ الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على العالمين * ذُرِيَّةً بعضُهَا مِنْ بَعْضٍ والله سميعٌ عَليمٌ** ﴾ (١)

فلقد اصطفى الله آدم ليكون خليفة فى الأرض ، وقد أسجد الله لآدم الملائكة ... واستمر الاصطفاء ... إذ اصطفى الله نوحا ليحمل عبء الرسالة وظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يستجب له إلا القليل . وهلك الكفار جميعا بعد أن دعا عليهم نوح ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً** ﴾(٢) واستجاب الله دعاء نوح وجعل السفينة ملجأ المؤمنين مع نوح بل جعلها ملجأ الحياة بأكملها ... حيث نجا فى السفينة أزواج الطيور والحيوانات وغيرها مما لا يعلمه إلا الله تعالى .

واصطفى الله بعد ذلك أقواما لا أفراداً .. فاصطفى آل إبراهيم وآل عمران .. وجعل بينهما رابطة .. فهم ذرية بعضها من بعض ..

وهكذا تتهيأ الأذهان لتتقبل البشارة فى طمأنينة وهدوء .. وقد حرص القرآن الكريم على أن يقدم هذا الإطار حتى لا تضل الأفئدة .. فهو يقدم الواقعة كما حدثت فى الواقع .. إنه يقدم الحقائق متكاملة متتابعة خطوة خطوة ..

أرأيت إلى خيط الاصطفاء الممتد منذ آدم .. ؟ أرأيت كيف تطور من آدم إلى نوح إلى آل إبراهيم وآل عمران .. ؟؟ .

وتأتى الخطوة التالية من خطوات الاصطفاء والتمهيد للبشارة يقول تعالى : ﴿ **إذْ قالتْ امرأةُ عِمْرانَ رَبِّ إنى نذرْتُ لَكَ مَا فى بَطْنى محرراً فَتقبَّلْ مِنِّى إنَّك**

---

(١) آل عمران : ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) نوح : ٢٦ .

أنتَ السَّمِيعُ العَلِيم ﴾[١] ولقد نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله .. وحررته من كل قيود الحياة ومطالبها .. فلو جاء ما فى بطنها ذكرا فستفرغه لله وكذا لو جاء أنثى .. إنِ الوليد محرر لله تعالى .. محرر من كل القيود والغايات البشرية العادية ..

فما نوعية الوليد ؟؟

يقول تعالى : ﴿ فَلَمّا وَضَعَتْها قالتْ رَبِّ إنى وَضَعْتُهَا أُنثى واللهُ أعلَمُ بما وَضَعَتْ وَليسَ الذكَرُ كَالأنثَى وَإنّى سميتُهَا مريم وَإنّى أُعيذُهَا بِكَ وذريتها مِنَ الشيطَانِ الرجيمِ ﴾[٢]

وكانت امرأة عمران تتمنى — فيما يبدو — أن يرزقها الله ولداً تهبه للخدمة فى الهيكل ، بدليل أنها فوجئت بالمولود أنثى حيث قالت ﴿ رَبِّ إنى وَضَعْتُهَا أنثَى .. ﴾ كما قالت ﴿ وَلَيْسَ الذكَرُ كَالأُنثَى ﴾ أى فى القدرة على الخدمة الإلهية أو تحمل أعباء الدعوة إلى الإيمان أو ما شاكل ذلك من أعمال تقتضيها أمور الدين وشئونه فى وقتها .. وبادرت بتسميتها مريم ، وأعاذتها بالله تعالى حتى لا يكون للشيطان سبيل عليها ولا على ذريتها ..

وهكذا يبدو أمر البشارة منذ بدايته مخالفاً للمعهود والمعروف .. وجاءت مريم على خلاف ما توقعت أمها .. وهذا أول الخيط ...

وعندما تذهب الى الخدمة نجد الأمر يسير على غير المعهود معها إذ كان يأتيها رزقها .. ﴿ كُلمَا دَخلَ عليها زكريَا المحرابَ وَجَدَ عندهَا رِزقًا قَالَ يَا مريم أَنَى لَكِ هَذَا قالَتْ هُوَ من عِندِ اللهِ إنّ الله يرزقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حِسَابٍ ﴾[٣] ..

وكان ما عند مريم من رزق يلفت الانتباه فهو من غير المعروف فى وقته فربما كان يأتيها رزق الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء .. وربما كان ثمرا لا يعرف

---

(١) آل عمران : آية ٣٥ وما بعدها .
(٢) آل عمران : آية ٣٦ وما بعدها .
(٣) آل عمران : ٣٧ .

فى هذا البلد .. وتوفره فى حجرتها ومحرابها قد أدى لدهشة زكريا عليه السلام فسألها عن مصدره فأجابت بأنه من عند الله .. وقد أشرنا إلى موقف زكريا عليه السلام حيث كان له دوره فى البشارة فرزقه الله تعالى غلاما زكيا .. وهو كبير السن وامرأته عاقر ..

ثم تأتى الخطوة التالية لتهيئة مريم عليها السلام للدور الفريد الذى أراد الله تعالى أن تقوم به ، وقد كانت الملائكة تزورها .. وتتردد عليها .. وتوضح لها مكانتها ودورها .. ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ الملائكةُ يَا مريمُ إنّ الله اصطَفَاكِ وَطَهّرَكِ واصطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالمينَ** ﴾(١)

وهذا دور من أدوار البشارة :

- إن الله اصطفاها
- كما أن الله طهرها
- واصطفاها على نساء العالمين .

والاصطفاء الأول اصطفاء عام .. واختيار شامل ثم جاء الاصطفاء الثانى ليوضح نوعية هذا الاصطفاء .. فهو اختيار مخصوص .. لم تسبق إليه امرأة ، وهو فضل لم تذهب به سوى مريم عليها السلام ﴿ **وَاصطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالمينَ** ﴾ فهو دور خاص ، لا يقوم به إلا النساء ولا يمكن أن يقوم به من بين نساء العالم سوى مريم ابنة عمران .

وقد أعلن لها الملائكة أن الله طهرها .. وهذا الإعلان العظيم كفيل بأن يخرس الألسنة التى تفترى على الله الكذب ، وتعلن أن الله لم يستطع أن يكفر الخطيئة ويطهر الإنسان منها إلا بعد أن صلب المسيح حسب ما يزعمون ؛ وأمامنا الدليل القاطع على كذب هذا الادعاء فهاهى ذى مريم عليها السلام وهى من البشر تنال التطهير الكامل بلا واسطة وبلا سفك دماء أو صلب مزعوم .

---

(١) آل عمران : ٤٢ .

ويستمر تهيئة مريم للدور العظيم ، فإنها ستكون موضع تكريم الله ؛ إذ أراد الله أن تلد عبداً من عباد الله بلا أب إظهاراً لقدرة الله تعالى وتأكيدا لوحدانيته .

ويأتيها الملائكة فى زيارات متكررة يحدثونها عن فضل الله تعالى عليها ، كما رأينا فى الآيات السابقة .. آيات الاصطفاء ، كما ينصحونها بالعمل الدائم الدائب لله تعالى : ﴿ **يَا مَريمُ اقنُتِى لِربِّكِ وَاسجُدِى وَاركَعِى مَعَ الراكِعينَ** ﴾[1]

إنها العبودية المطلقة الدائمة ، واستمرار الاتصال مع الله تعالى عن طريق القنوت والسجود والركوع ..

وتأتى البشارة إلى قمتها حين يفصح لها الملائكة عن الدور العظيم الذى ينتظرها ...

﴿ **إذْ قَالَتْ الملائكةُ يَا مريم إنّ الله يُبشِّركِ بِكَلِمةٍ منه اسمهُ المسيحُ عِيسَى ابن مريم وَجِيهاً فى الدنيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المقربِينَ * وَيُكلِّمُ النَّاسَ فى المَهْدِ وَكهَلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[2]

ويبدو أن هذه البشارة كانت بشارة جرت على لسان جمع من الملائكة الذين كانوا يترددون على مريم عليها السلام ... وقد وضحوا لها صفات المسيح عليه السلام وهي :

- أنه كلمة من الله .. وهذه الكلمة كن فيكون .. هى الأمر الإلهى ومجال البشارة واضح .. فهذا الأمر أو تلك الكلمة كونية خلقت بها الأرض والسماء والجبال وما شاء الله من مخلوقات .. ولم يسبق — على حسب ظننا — أن استخدمت هذه الكلمة فى خلق الإنسان .. وإنما استخدمت فى خلق عيسى عليه السلام فى رحم مريم بلا أب كما قال تعالى : ﴿ **إنّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمثَلِ آدمَ خلقَهُ مِنْ تُرابٍ ثم قالَ لَه كُنْ فيكُونُ** ﴾[3]

---

(١) آل عمران : ٤٣

(٢) آل عمران : ٤٥ ، ٤٦

(٣) آل عمران : ٥٩ . وأما خلق آدم عليه السلام فقد خلقه الله بيديه ونفخ فيه من=

فما عرفنا إنسانا من بنى آدم خلق بهذه الكلمة سوى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذرية آدم خلقت من نطفة ثم تحولت إلى علقة .. إلى آخر مراحل الخلق ..

- وعيسى عليه السلام وجيه فى الدنيا والآخرة فهو عليه السلام لا يشرك بالله شيئا وهو يدعو إلى الله الواحد القهار .. ويرد اليهود وأحبارهم إلى جادة الصواب بعد أن انحرفوا وزاغوا عنها .
- **ومن المقربين فهو ليس المقرب الوحيد وإنما هو من المقربين .**
- **ويكلم الناس فى المهد وكهلا وهذا ما سنعرض له فيما بعد إن شاء الله تعالى .**
- **وهو من الصالحين .. وذلك قمة الاصطفاء والاجتباء .**

ويأتى دور تحقيق هذه البشارة ، بعد أن تهيأت لها مريم عليها السلام .. وهذه المرة لا تأتى البشارة عامة على لسان الملائكة بل تأتى على لسان الروح الأمين .

قال تعالى ﴿ **وَاذكُرْ فى الكِتَابِ مَرْيم إذِ انتبذَتْ مِنْ أهلِهَا مَكَاناً شَرقياً * فَاتخذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فأرسلْنَا إليها رُوحَنا فَتمثَّلَ لها بَشَراً سَوياً * قَالَتْ إنى أعوذُ بالرحمن مِنكَ إنْ كُنتَ تَقياً * قَالَ إنـمَا أنَا رَسُولُ ربِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكياً** ﴾[1] لقد اتخذت مريم حجابا يسترها .. بل ويبعدها عن أهلها .. وذلك حسبما نذرت أمها ﴿ **إنى نَذَرْتُ لَكَ مَا فى بَطْنِى محرراً ..** ﴾ وقد أرادت مريم عليها السلام أن تتحرر من كافة القيود التى تربطها بالناس ، وعزمت على التفرغ لعبادة الله سبحانه وتعالى ..

أرسل الله لها الروح الأمين « **جبريل عليه السلام** » فتمثل لها بشراً سوياً مكتملا حتى إنها ظنته أحدا من البشر الأشقياء الذين يتسللون إلى المخادع ليقضوا

= روحه كما بيَّن القرآن الكريم .

(١) مريم : ١٦ ــ ١٩

وطرهم فى غفلة من الضمير والناس .. فقالت ﴿ إنى أعُوذُ بالرحمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقياً ﴾ والتقى الذى يستتر[1] وقيل ربما كان هذا اسم شخص شرير اشتهر بالفسق والمعنى الأول أقرب والله أعلم .

ولكن المَلَكَ أعلن لها حقيقة الأمر ﴿ قَالَ إنما أنَا رَسُولَ رَبّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكياً .. ﴾

تلكم هى الحقيقة .. وهذا أوانها .. وإذا كانت الملائكة قد بشرتها بكلمة من الله .. فقد تلقت هذه البشارة تلقيا عاما .. أما الآن فهى أمام الواقع ، ولعل الإنسان تغشاه الرهبة من موقف كان يعرفه .. إلا أنه عندما يقدم عليه ليعايشه تجتاحه رهبة منه .. وهذا ما حدث لمريم عليها السلام .. عندما قال لها لأهب لك غلاما زكيا .. ردت عليه قائلة كما حكى القرآن : ﴿ قَالَتْ أَنّى يكُونَ لى غُلَامٌ وَلَمْ يمسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغيّاً .. ﴾[2] وهذا التساؤل يكشف عن مدى الذهول الذى أصاب مريم عند سماع النبأ .. وقد ردها الملك إلى قدرة الله تعالى ... ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىّ هَيّنٌ وَلِنجعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَرَحمةً مِنّا وَكَانَ أمراً مَقْضياً ﴾[3].

- إن هذا أمر هين على الله ، فهو على كل شيء قدير .
- وهذا الوليد سيكون آية معجزة من الله تعالى لخلقه .
- وهو رحمة من الله سبحانه وتعالى حيث سيحمل الرسالة ويصحح مسارها .. بعد انحرافها ويبشر بالنبى محمد ﷺ فهو بشرى بالرحمة بقرب مشرق النور الخاتم .
- وكان أمراً مقضيا .. لا رجعة فيه .. إذ هى إرادة الله تعالى ولا راد لقضائه ولا

---

(١) وقد حملت التقوى هذا المعنى .. فعندما يقول القرآن « **اتقوا النار** » أى استتروا منها بالطاعة وكذا « **اتقوا الله** » أى اجعلوا طاعتكم له وقاية وسترا لكم من عذابه وغضبه .. والله أعلم ...

(٢) مريم : ٢٠

(٣) مريم : ٢١

منعقب لحكمه .

وهكذا نجد البشارة القرآنية تبدأ القصة من أولها منذ أن نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله تعالى ، وتطورت بتطورها حتى جاءت ثمرتها ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فكان آية من الله تعالى لخلقه يهتدى بها من أراد الله هدايته ويضل بها من لم يكتب الله له النجاة .

ساعة الميلاد

أولاً : فى الإنجيل :

جاء فى متى (١ : ١٨ ــ ٢٥) :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا .

فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع » .

وجاء فى لوقا : (٢ : ١ ــ ٧) :

« وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يُكتتب كل المسكونة . وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع لِيكتتبوا كل واحد إلى مدينته . فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ، لِيُكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وَقمّطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل »(١)

---

(١) راجع « اتفاق البشائر » ص ٥

هذا ما ورد فى الأناجيل عن ميلاد المسيح عليه السلام . وهذه النصوص التى أوردناها لم يأت فيها عن لحظة الميلاد سوى كلمات قليلة . فقد جاء فى متى بشارة ليوسف ولم يرد سوى القول بأن يوسف « **لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع** » .

وفى لوقا « **تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل** » .

ولا نجد فى الأناجيل وصفا لساعة الميلاد .. ولا لحقيقة المولود سوى أن أمه « قمطته » أى ربطته باللفائف ووضعته فى المذود [**وهو ما يوضع فيه العلف للماشية**] .. فهو قد ولد حسب هذه الرواية فى حظيرة للماشية .. وقد ركزت على تطمين يوسف وتشجيعه ليأخذ امرأته .

الملائكة يعلنون خبر الولادة للرعاة :

«وكان فى تلك الكورة رعاة مُتَبدِّينَ يحرسون حراسات الليل على رعيتهم وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مُخلِّصٌ هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمَّطاً مُضْجعاً فى مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » لوقا ٢ : ٨ ـــ ١٤ .

هذا الإعلان السماوى يبدو فى نظر أتباع الإنجيل مهما جدا وذلك لأنهم يرون فيه تأييداً لما يزعمون من أن المسيح هو الله أو ابن الله (**تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً**) وقد جاء فى بعض التعليقات المسيحية « لقد سبق بيان اهتمام أهل السماء بحوادث الأرض ، وتكرر مجىء كبير الملائكة ليبشر بقرب هذه الولادة العجيبة . لكن هذه هى المرة الوحيدة التى أرسل فيها الله إلى العالم جمهورا من الملائكة وسمع على الأرض ترنيم ألحان السماء » .. « إذن هو الموعود به من قديم

وأنه الرب .. إذاً ليس هو مجرد بشر »[١]

وهكذا نرى أن عبارات لوقا تصرح بأن المولود هو المسيح الرب وهو المخلص ... ويلاحظ أن هذه العبارات سيقت وسط عبارات « متبدين يحرسون حراسات الليل » كما أن فيها المباغتة ..

إن الباحث عندما يبحث عن الحقيقة فى كتاب مترجم عن لغة أخرى فإنه قد لا يجدها فى الترجمة بل قد يجدها بصورة أوضح فى الأصل الذى تُرجمت عنه .. ونحن أمام بشارة مترجمة .. ولا نجد الأصل الذى ترجمت عنه وقد أشار أحد الباحثين إلى ذلك[٢] فقال :

- إن الرعاة السوريين الذين ذكروا فى الآية لم يكونوا من خريجى أكاديمية أثينة ، وقد سمعوا جمهور الجنود السماوية يترنمون بتلك الأنشودة العجيبة فلا يمكن إذاً أن تكون الأنشودة باليونانية . هذا شيء لا يوجد من يعترض عليه ، ومن البديهى أنهم كانوا يرتلون التسبيح باللغة السريانية (لغة الرعاة) .
- لم يذكر أنشودتهم المهمة هذه متَّى ولا المبشرون الآخرون وأن لوقا كتب موعظته باللغة اليونانية .
- أشار الباحث إلى أن أنشودة الجند السماوى الواردة فى النص السابق ليست مترجمة بدقة .

فقد وردت هنا « **المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة** » .

وترجمتها باليونانية وقعت على الوجه الآتى كما فى (ترجمة بايبل سوسايتى) :« **الحمد لله فى الأعالى ، على الأرض سلامة ، فى الناس حسن الرضا** »[٣]

---

(١) سيرة المسيح ص ٤٤ ، ٤٥

(٢) « الإنجيل والصليب » تأليف : عبد الأحد داود (ص ٣٤ وما بعدها)

(٣) لاحظ الفرق بين الترجمتين .

فما معنى أن يكون « على الأرض السلام ــ أو سلامة » ؟

هل قصدت الملائكة وهم ينشدون أن يوضحوا أن الأرض سيعمها السلام ويعيش أهلها فى مسالمة ، ولن يكون بينهم حروب ؟ .

إن هذا المعنى لا يمكن أن يكون هو المقصود فقد جاء فى متى : ١٠ : ٣٤ « **لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا** » وفى موعظة أخرى للمسيح « **جئت لألقى ناراً على الأرض .. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً** » (لو ١٢ : ٤٩ ــ٥٣)

إذن فليس المقصود بعبارة (على الأرض السلام) أنها تعيش فى طمأنينة ويكفى أن نتتبع المجازر الرهيبة على مدى السنين .. والدول المسيحية طرف جبار فيها لندرك أن النبوءة بهذا المعنى لا تعطى شيئا .. بل إن الواقع يكذب هذا المعنى ، ويؤكد غيره ...

● وعلى هذا فلا بد أن يكون للعبارة منهج آخر وهو (**على الأرض الإسلام**) وهو تفسير لكلمة (**إيرينى**) وبذلك يكون نشيد الملائكة ترحيبا بالمسيح عليه السلام على أنه النبى الذى يمهد الطريق لمحمد ﷺ .

● أما كلمة (**وبالناس المسرة**) أو (**فى الناس حسن الرضا**) فإن الباحث يبين أن كلمة (**المسرة ــ حسن الرضا**) هى ترجمة (**أيا دوكيا**) اليونانية .

وهذه الكلمة مكونة من « **أيو** » بمعنى (**حسن ــ جيد ــ صالح ــ مرحى ــ حقيقى ــ حسن ، ملاحة**) .. وكلمة (**دوكيا**) وحدها لا معنى لها وإنما توجد كلمة (**دوكوثة**) بمعنى (**الحمد ــ الاشتهاء ــ الشوق ــ الرغبة ــ بيان الفكر**)[١]

وهكذا تدور كلمة (**أيا دوكيا**) حول الحمد والحسن والجيد .. الخ وكذا

---

(١) « الإنجيل والصليب » ص ٥٢

كلمة (**دوكوثة**) .. فهذه الترنيمة السماوية كانت تغنياً باسم (**أحمد محمد** ﷺ) فيكون الترجمة الصحيحة لأنشودة الملائكة « **الحمد لله فى الأعالى وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد** »

وهذا أقرب لأن كلمة (أيا دوكيا) مترجمة عن كلمة (راصون) العبرية وهى بمعنى الرضا مما يؤكد قربها فى المعنى من (أحمد ومحمد) فالحمد لا يكون إلا مع الرضا يؤيد ذلك أيضا ما قرأناه فى ترجمة (بايبل سوسيتى) .

● وبالمناسبة نسوق نموذجا صارخا لتحريف الكلم عن مواضعه ، ومخادعة البسطاء الذين تقصر مواهبهم وإمكانياتهم عن فهم الحقائق وتمييز الطيب من الخبيث . فلقد سأل الكاتب الراحل توفيق الحكيم عن معانى بعض النصوص والعبارات الواردة فى الإنجيل ، وجاء الرد على هذه التساؤلات يزيد من الغموض ويبعث على الاستغراب .. واقرأ المقال والتعقيب لترى مواضع العجب .

رأى للبابا شنودة فى السلام فى تعليم المسيح(١) :

حينما نتحدث عن آية من الكتاب ، لا نستطيع أن نفصلها عن روح الكتاب كله ، لأننا قد لا نفهمها مستقلة عنه .

فلنضع أمامنا إذن روح الإنجيل ، ورسالة المسيح التى ثبتت فى أذهان الناس ، ثم نفهم تفسير الآية فى ظل المفهوم العام الراسخ فى قلوبنا .

رسالة السيد المسيح هى رسالة حب وسلام : سلام مع الله ، وسلام مع الناس : أحباء وأعداء . وسلام داخل نفوسنا بين الجسد والعقل والروح .

فى ميلاد المسيح غنت الملائكة قائلة « **المجد لله فى الأعالى . وعلى الأرض السلام ، وفى الناس المسرة** » (لوقا ٢ : ١٤) . وقد دعى السيد المسيح « رئيس السلام » (أش ٩ : ٦) . وقد قال لنا « **سلامى أترك لكم . سلامى أعطيكم ... لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع** » (يوحنا ١٤ :٢٧) . وقال

---

(١) الأهرام : ١٩٨٥/١٢/٩

« أى بيت دخلتموه ، فقولوا : سلام لأهل هذا البيت » (لوقا ١٠ : ٥)

وذكر السلام كأحد ثمار الروح القدس فى القلب ، فقيل : **« ثمر الروح : محبة فرح سلام »** (غل ٥ : ٢٢) . وفى مقدمة عظة السيد المسيح على الجبل « **طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يُدْعَوْنَ** » (متى ٥ : ٩) .

كما ورد فى الإنجيل أيضا « **أطلب إليكم ... أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم لها ، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة ، محتملين بعضكم بعضا بالمحبة ، مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط السلام ، لكى تكونوا جسدا واحدا وروحا واحدا** » (أف ٤ : ١ — ٤)

ودعا السيد المسيح إلى السلام ، حتى مع الأعداء والمقاومين ، فقال « **لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا .**

ومن سخرك ميلا ، فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه » (متى ٥ : ٣٩ — ٤٢) .

بل قال أكثر من هذا « **أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ... لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ... وإن سلمتم على إخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون** » (متى ٥ : ٤٤ — ٤٧)

ولست مستطيعا أن أذكر كل ما ورد فى الإنجيل عن رسالة السلام فى تعليم السيد المسيح ، إنما أكتفى بهذا الآن . وعلى أساسه نفهم الآيات التى هى موضع السؤال .

وكمقدمة ينبغى أن أقول إن الإنجيل يحوى الكثير من الرمز ، ومن المجاز ، ومن الاستعارات والكنايات ، من الأساليب الأدبية المعروفة ..

النقطة الأولى فى سؤالكم :

وهى قول السيد المسيح « **جئت لألقى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت** » (لوقا ١٢ : ٤٩) .

١ ــ إن النار ليست فى ذاتها شرا . وإلا ما كان الله قد خلقها . ولست بصدد الحديث عن منافع النار ، ولا عما قيل عنها من كلام طيب فى الأدب العربى . وإنما أقول هنا إن النار لها معان رمزية كثيرة فى الكتاب المقدس .

٢ ــ فالنار ترمز إلى عمل الروح القدس فى قلب الإنسان .

وقد قال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح « **هو يعمدكم بالروح القدس ونار** » (**لوقا** ٣ : ١٦) .

وقد حل الروح القدس على تلاميذ المسيح على هيئة ألسنة كأنها من نار . (أعمال ٢ : ٣) . وكان هذا إشارة إلى أن روح الله ألهبهم بالغيرة المقدسة للخدمة . وهذه الغيرة يشار إليها فى الكتاب المقدس بالنار . وهى النار التى أعطت قوة لتطهير الأرض من الوثنية وعبادة الأصنام . وهذه النار هى مصدر الحرارة الروحية . وقد طلب منا فى الإنجيل أن نكون « **حارين فى الروح** » (رومية ١٢ : ١١) . وقيل أيضا « **لا تطفئوا الروح** » (اتس ٥ : ١٩) .

٣ ــ والنار ترمز أيضا فى الكتاب الى المحبة .

وقيل فى ذلك « مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة » (نشيد ٨ :٧) . وقيل أيضا « **لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين** » (متى ٢٤ : ١٢) .

٤ ــ والنار قد ترمز أيضا إلى كلمة الله :

كما قيل فى الكتاب « **أليست كلمتى هذه كنار ، يقول الرب** » (أرمياء ٢٣ : ٢٩) . وقد قال أرمياء النبى عن كلام الرب إليه « **فكان فى قلبى كنار محرقة** » (أرمياء ٢٠ : ٩) . لذلك لم يستطع أن يصمت ، على الرغم من الإيذاء الذى أصابه من اليهود حينما أنذرهم بالكلمة .

٥ ــ والنار فى الكتاب ترمز أحيانا إلى التطهير :

كما قيل عن إشعياء النبى أن واحدا من الملائكة طهر شفتيه بجمرة من النار (أش ٦ : ٦ ، ٧) .

وإن كانت النار تحرق القش ، إلا أنها تنقى الذهب من الأدران ، وتقوى

الطوب الطين وتجعله صلبا . وكانت تستخدم فى العلاج الطبى (بالكى) .

فالذى كان يقصده السيد المسيح : أننى سألقى النار المقدسة فى القلوب ، فتطهرها ، وتشعلها بالغيرة المقدسة لبناء ملكوت الله على الأرض . لذلك قال : **ماذا أريد لو اضطرمت .**

هذه النار قابلتها نار أخرى من أعداء الإيمان تحاول إبادته . وهكذا اشتعلت الأرض نارا ، كانت نتيجتها إبادة الوثنية ، بعد اضطهادات تحملها المسيحيون .

هناك إذن نار اشتعلت فى قلوب المؤمنين ، ونار أخرى اشتعلت من حولهم . وكانت الأولى من الله ، والثانية من أعدائه .

والسيد المسيح نفسه تعرض لهذه النار المعادية . لذلك قال بعد هذه الآية مباشرة ، يشير إلى آلامه المستقبلية « **ولى صبغة اصطبغها . وكيف انحصر حتى تكمل** » (لوقا ١٢ : ٥٠) . وبنفس الأسلوب تحدث عن صبغة آلامه فى (متى ٢٠ : ٢٢) ، (مرقس ١٠ : ٣٨) .

بقى أن نتحدث عن النقطة التالية :

النقطة الثانية من سؤالكم :

وهى قول السيد المسيح بعد الإشارة إلى آلامه مباشرة « **أتظنون أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ؟ كلا ، أقول لكم بل انقساما** » (لوقا ١٢ : ٥١) . إنه جاء ينشر عبادة الله فى العالم كله ، بكل وثنيته ، ولذلك قال لتلاميذه « **اذهبوا إلى العالم أجمع . واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها** » (مرقس ١٦ :١٥) .

تضاف إلى هذا : المبادىء الروحية الجديدة التى جاء بها المسيح . وهى تختلف عن سلوكيات وطقوس العبادات القديمة .

وكان أول من انقسم على المسيح ، ثم على تلاميذه : اليهود وقادتهم . ليس بسبب المسيح ، إنما بسبب تمسك اليهود بملك أرضى ، وبسبب تفسيرهم الحرفى للكتاب . لدرجة أنهم تآمروا مرة عليه ليقتلوه ، لأنه شفى مريضا فى يوم سبت (متى ١٢ : ٤٩) .

وتضايق منه اليهود ، لأنه كان يبشر الأمم الأخرى بالإيمان . وهم يريدون أن يكونوا وحدهم شعب الله المختار . لذلك لما قال بولس الرسول أن السيد المسيح أرسله لهداية الأمم ، صرخ اليهود طالبين قتله (أعمال ٢٢ : ٢١ ، ٢٢) . بل إن القديس بولس لما تحدث عن القيامة ، حدث انشقاق وانقسام بين طائفتين من اليهود هما الفريسيون والصدوقيون ، لأن الصدوقيين ما كانوا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح (أع ٢٣ : ٦ ،٩) .

وانقسم اليهود على المسيح ، لأنهم كانوا يريدون ملكا أرضيا ينقذهم من حكم الرومان . أما هو فقال لهم « **مملكتى ليست من هذا العالم** » (يوحنا ١٨ : ٣٦) . فلم يعجبهم حديثه عن ملكوت الله ، ولا قوله « **أعطوا ما لقيصر لقيصر ...**» (متى ٢٢ : ٢١) .

وهكذا قامت ضد المسيح كهنة اليهود وشيوخهم والكتبة والفريسيون والصدوقيون .

أكان يمكن للمسيح أن يمنع هذا الانقسام ، بأن يجامل اليهود فى عقيدتهم عن الشعب المختار ، ورفضهم لإيمان الأمم الأخرى ، ورغبتهم فى الملك الأرضى ، وحرفيتهم فى تفسير وصايا الله ؟ أم كان لا بد أن ينشر الحق ، ولا يبالى بالانقسام ؟! .

كذلك واجه السيد المسيح العبادات القديمة بكل تعددها وتعدد آلهتها : آلهة الرومان الكثيرة تحت قيادة جوبتر ، والآلهة اليونانية الكثيرة تحت قيادة زيوس ، والآلهة المصرية الكثيرة تحت قيادة رع وآمون ، وباقى العبادات . وكذلك الفلسفات الوثنية المتعددة . وكان لا بد من صراع بين عبادة الله والعبادات الأخرى .

أكان المسيح يترك رسالته لا ينادى بها خوفا من الانقسام ، تاركا الوثنيين فى عبادة الأصنام ، لكى يحيا فى سلام معهم ؟! ألا يكون هذا سلاما باطلا ؟!

أم كان لا بد أن ينادى لهم بالإيمان السليم ، ولا خوف من الانقسام ، لأنه ظاهرة طبيعية . فطبيعى أن ينقسم الكفر على الإيمان . وطبيعى أن النور لا يتحد

مع الظلام .

ولم يكن الانقسام صادرا من السيد المسيح ، بل كان صادرا من رفض الوثنية للإيمان الذى نادى به المسيح . وهكذا انذر السيد المسيح تلاميذه ، بأن انقساما لابد سيحدث ، وأنهم فى حملهم لرسالته ، لا يدعوهم إلى الرفاهية والهدوء ، بل إلى الصدام مع الانقسام .

لذلك قال لهم « **فى العالم سيكون لكم ضيق** » (يوحنا ١٦ : ٣٣) « **تأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله** » (يوحنا ١٦ : ٢) « **إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم** » (يوحنا ١٥ : ١٨ ، ٢٠) .

لقد وقف السيف ضد المسيحية . لم يكن منها ، وإنما عليها . وعندما رفع بطرس سيفه ليدافع عن المسيح وقت القبض عليه ، انتهره ومنعه قائلا « **اردد سيفك إلى غمده ، لأن كل الذين يأخذون السيف ، بالسيف يهلكون** » (متى ٢٦ : ٥٢) .

وكانت نتيجة السيف الذى تحمله المسيحيون ، ونتيجة انقسام الوثنيين واليهود عليهم ، مجموعة ضخمة من الشهداء . ومع الصمود فى الإيمان ، انتشر الإيمان وبادت الوثنية . فى وقت من الأوقات ، ظن تلاميذ المسيح — كيهود — أن المسيح سيملك . لذلك اشتهى بعضهم أن يجلس عن يمينه وعن شماله فى ملكه . فشرح لهم السيد أن حملهم لبشارته سوف لا يجلب لهم سلاما ورفاهية ، وإنما انقساما من أعداء الإيمان . بل سيحدث هذا حتى فى مجال الأسرة فى البيت الواحد : إذ قد يؤمن ابن بالله ، فيثور عليه أبوه الوثنى ، ويجبره على العودة إلى الوثنية أو يقتله . وهكذا مع باقى أفراد الأسرة التى تنقسم بسبب الإيمان .

فهل يرفض هؤلاء الإيمان ، حرصا على عدم الانقسام ؟ .

كلا . فالانقسام هنا ليس شرا ، وإنما ظاهرة طبيعية . وكل ديانة انتشرت على الأرض ، واجهت مثل هذا الانقسام فى بادىء الأمر ، إلى أن استقرت الأمور .

تكلم المسيح عن الانقسام فى مجال نشر الإيمان . أما فى الحياة العادية ، فإنه

دعا إلى الحب بكل أعماقه . وورد فى الإنجيل أن « **الله محبة** » (ايو ٤ : ٨) كما قيل فيه أيضا « **لتصر كل أموركم فى محبة** » (اكو ١٦ : ١٤) .

النقطة الثالثة فى سؤالكم :

وهى عبارة « هل المؤمن العادى يفطن لأول وهلة إلى المعنى الحقيقى لقول السيد المسيح ؟ » .

أجيب أنه من أجل هذا ، وجد فى كل دين وعاظ ومعلمون ومفسرون ، وكتب للتفسير . كما أن علم التفسير يدرس فى كل الكليات الدينية بشتى مذاهبها . فمن يريد عمقا فى فهم آية ، أمامه الكتب ، أو سؤال المتخصصين .

وختاما أشكركم كثيرا ، لأنكم أتحتم لى هذه الفرصة فى الحديث معكم ومع قرائكم الكرام . دامت محبتكم .

تعقيب على المقال

مر بنا مقال كبير القوم فى تصوير الأمر للناس وكان أملنا أن يلتزم الدقة فى التعبير والتصوير ولكنه آثر أن يصور معنى العبارة كما يتخيله هو وكما يرجوه لا كما تعبر عنه العبارة بدلالاتها . ونود أن نشير إلى منهج الرجل فى الرد .. وذلك تأكيدا لما سبق أن توصلنا إليه من اعتمادهم على التمويه والمغالطات ...(١)

أولا : إنه أراد أن يزج بالقارىء فى خضم قد لا يحسن السباحة فيه .. فقد حاول أن يربط العبارات المسئول عنها بالكتاب كله .. « لا نستطيع أن نفصلها عن روح الكتاب كله .. » ... وهذا فى حد ذاته مبدأ لا اعتراض عليه بصفة عامة .. والاعتراض فقط حول الخروج بهذا المبدأ عن طبيعته وروحه .. فيتخذ وسيلة للتغطية على الحقيقة وهو ما سنراه فى هذا المقال ..

ثانيا : بعد أن ذكر الكاتب عبارات من الإنجيل تتحدث عن السلام أو ورد فيها لفظ السلام .. يسوق مقدمة تثير العجب فيقول « .. وكمقدمة ينبغى أن

---

(١) راجع كتابنا .. « الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة »

أقول إن الإنجيل يحوى الكثير من الرمز ، ومن المجاز ومن الاستعارات والكنايات من الأساليب الأدبية المعروفة .. » .

وهذه المقدمة لم يقل بها أحد .. ولو أجريناها على حقيقتها لأدى ذلك إلى قلب كثير من الشائعات التى تروج بين المنتسبين على أنها حقائق لا تقبل الجدال ...

فالفداء .. كناية عن الرسالة ...

والصلب ... مجاز عن الشهوات ..

والبنوّة ... استعارة للقرب ...

وهكذا ... الكثير .. مما ورد فى الإنجيل ..

ثالثا : تحدث الكاتب عن رموز النار فى الكتاب المقدس وهذه الرموز يراد بها معناها فى العبارات التى أوردها الكاتب .. ولكنها لا تشرح معناها فى العبارة المشار إليها ..

رابعا : يقول الكاتب : فالذى كان يقصده السيد المسيح « إننى سألقى النار المقدسة فى القلوب فتطهرها وتشعلها بالغيرة المقدسة لبناء ملكوت الله على الأرض لذلك قال ماذا أريد لو اضطرمت » وفى الظاهر أن قوله فى النهاية « **ماذا أريد لو اضطرمت** » لا تؤدى إلى المعنى الذى أورده الكاتب بأنها نار مقدسة .. فالاستفهام يحمل معنى التهديد .. وفيه لمسة القسوة ولو كانت مقدسة لما جاء مثل هذا الاستفهام اللهم إلا إذا تكلفنا التأويلات كما تكلفها الكاتب فى ذكر عشرات العبارات ، للوصول إلى المعانى التى أشار إليها ..

خامسا : يسوق الكاتب رده على التساؤل حول قول المسيح « أتظنون أنى جئت لألقى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً » .

ويحاول الكاتب أن يبرر هذا الانقسام كما رأيت ثم يقول « أكان يمكن للمسيح أن يمنع هذا الانقسام بأن يجامل اليهود فى عقيدتهم عن الشعب المختار ورفضهم لإيمان الأمم الأخرى .. ورغبتهم فى الملك الأرضى وحرفيتهم فى تفسير

وصايا الله ؟ أم كان لا بد أن ينشر الحق ولا يبالى بالانقسام ..؟؟ .

ويستمر هذا التبرير الذى يهدم ــ من حيث لا يدرى ــ عقيدة الصلب والفداء وألوهية المسيح ...

فكيف يكون إلها ... وصلب للفداء كما يزعمون ورغم ذلك لا يستطيع أن يوحد بين قلوب البشر .. ؟ .

وما الفرق بين ما فعله رسل الله ... وما فعله المسيح إذا كان إلها كما يقولون ؟ .

ونلاحظ أن الكاتب قد أهمل دلالة العبارة « أتظنون أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ؟ كلا .. ؟ » فدلالتها الواضحة أن السلام كمبدأ ليس من مبادىء الرسالة .

سادساً : يقول الكاتب إن الانقسام ليس شراً وإنما ظاهرة طبيعية وكل ديانة انتشرت على الأرض واجهت مثل هذا الانقسام فى بادىء الأمر إلى أن استقرت الأمور ..

وهذا الكلام يتلاءم مع رسالة يؤمن أتباعها بأن رسولا من الله أرسل إليهم .. فجهد الرسول البلاغ وإعلان الإيمان .. ولكنه يناقض رسالة يعتقد أتباعها أن الله قد نزل بنفسه ليتحمل خطايا العالم .. ويتألم من أجل الناس ... وهنا يظهر التناقض فكيف يكون إلها ويعجز أن يأتى برسالة تضم الجميع بقدرة قادر ؟؟ .

بل لنا أن نسأل كيف عجز المسيح ــ عليه السلام ــ أن يمنع الانقسام حول شخصه نفسه ...

* فهناك من ينكر وجوده أصلا ويقول إنه شخصية أسطورية ..

* وهناك من يقول بأنه عبد رسول خلقه الله كما خلق آدم من قبله (**وهذا ما نؤمن به ...**)

* بل وكيف عجز عن أن يمنع هذا الانقسام حول شخصه بين المؤمنين بألوهيته أنفسهم ... فهناك منهم من يؤمن به إلها ذا طبيعة واحدة ... وغيرهم

ن يعتقد أنه إله ذو طبيعتين ...

وهذه التساؤلات وجدت محلها فى الأذهان تبعاً للزعم القائل أن الإله تجسد ونزل وصلب ... الخ .

فما معنى وجوده بين الناس كما يزعمون ؟ .

* لقد صلب ــ كما يزعمون ــ أمام الناس ...

* ونزل بين أظهر الناس وعايشهم ...

فإذا عجز وبان عجزه ... فما معنى ذلك ؟

* إننا ما رأينا خطيئة واحدة كفرها بصلبه فلا زال العالم ــ والمسيحى منه بالذات ــ يعج بالخطايا .. ويصدر خطاياه للآخرين ...

* وما رأينا جيلا واحداً خلا من الوثنية ... فلماذا نزل الإله المزعوم ... ولماذا صلب ؟ الجواب ... سراب ... ولا شىء ...

سابعاً : ويرد الكاتب على تساؤل « هل المؤمن العادى يفطن لأول وهلة إلى المعنى الحقيقى لقول السيد المسيح ؟ » .

فيجيب أنه من أجل هذا وجد فى كل دين وعاظ ومعلمون ومفسرون وكتب للتفسير ... إلى آخر ما قال .. والكاتب يغلق الباب أمام الأفهام والعقول .. ويحجر عليها ويرد الأمر إليه وإلى الوعاظ ... حتى يفهم النص من خلال فكره وفهمه ..

والمغالطة الواضحة فى الإجابة أن وجود المفسرين وكتب التفسير لا تحجر على أحد .. وهى اجتهادات قد تقبل وقد ترد .. لأن الاجتهاد يرده اجتهاد آخر .. وهذا غير المراد من التساؤل ...

لأن معنى الإجابة التى أوردها الكاتب معناها ألا يفتح أحد الكتاب المقدس .. وأن ينتظر ما يقال له .. ولو أخذنا القرآن الكريم مثالا لوجدنا أنه كتاب مفتوح أمام من يريد أن يفهم ... وأقول من يريد أن يفهم لا من يريد أن يجتهد فى الدين .. فلا حرج على المؤمن أن يقرأ قوله تعالى : ﴿ **الرحمنُ * عَلَّمَ**

القرآن * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ ويفهم منها أن الله أنزل القرآن وخلق الإنسان وعرفه كيف يُبِينُ عن مكنون نفسه ... وهذا مفهوم لأول وهلة ... أما إذا أراد أن يتفهم مغزى تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان فهذا مجاله علم البلاغة ... وهذا مثال واحد ... أردنا أن نوضح به الحقيقة ..

فعندما ترد الرواية بقول المسيح إنه ما جاء ليلقى سلاما بل انقساماً ... الخ . فهل يحجر على الباحث أن يأخذ انطباعاً من مثل هذا القول وينتظر النشرات التوضيحية .. ؟؟

لهذا نرى أن الحقائق ربما يشوبها الغموض ، وربما يلجأ البعض إلى العبارة المنمقة يغطى بها الأفكار التى لا تقبل الشك . نسأل الله العافية ..

ثامناً : ذكر الكاتب : وقد قال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح « هو يعمدكم بالروح القدس ونار » ..

وفى هذا من المغالطة ما فيه ... فهذه العبارة ــ لو صحت ــ لكان المقصود بها محمد ﷺ ففى الكلام المنسوب ليحيى : « **يأتى بعدى من هو خير منى ..** » وهذا لا ينطبق على المسيح عليه السلام لأن المسيح جاء معه وعاصره ولم يأت بعده بل لقد أرسل يحيى عليه السلام للسؤال عن المسيح ورسالته .. كما تذكر الأناجيل ..

كما أن التعميد بالروح القدس هو من خصائص الإسلام فقول لا إله إلا الله يدخل صاحبه الإسلام أما المسيحية فلا زال التعميد بالماء كما كان أيام يوحنا ...

والحاصل : أن المسيح عندما قال هذه العبارات إنما أراد ما تعبر عنه وما تشير إليه ..

(**فهو لم يأت ليلقى سلاما على الأرض**) .

وهذا يوضح أن أناشيد الملائكة « الحمد (أو المجد) لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المحبة .. » .

هذا النشيد قد حُرِّفَ وخرج به النُّسَّاخُ عن مضمونه وهو « .... وعلى الأرض

الإسلام .. وللناس أحمد » كما سبق أن وضحنا .

ثانياً : لحظة الميلاد فى القرآن الكريم :

كانت لحظة الميلاد لحظة تاريخية امتزجت فيها مشاعر الأمومة بآلام الواقع ومرارته فى نفس مريم ...

لقد حملت بجنينها على غير عادة الناس .. ، وقد بُشرت بهذا الحمل من قبل الملك الذى تمثل لها بشراً سوياً .. واقتنعت أن الله سيقضى أمره .. ولا راد لقضائه .. وقد رضيت بقضاء الله تعالى .

ولكنها (وهى الأنثى التى قضت حياتها فى الطاعة ، وكان الخير قد عمها من الله تعالى) .. تحيرت فى أمرها :

كيف تواجه الناس .. وهى حامل دون أن يعلن زواجها من رجل ؟ ..

إن الناس لا يعرفون كيف تلد الأنثى دون ذكر ؟ لأن حياتهم .. وحياة الدواب حولهم والطيور أمامهم .. كلها تقوم على هذين العمادين .. الذكر والأنثى ..

وطبيعى أن يفسر الناس هذه المسألة تفسيراً يوافق حياتهم وخصائصها .. فإذا علموا امرأة تزوجت وولدت فلا غرابة فى ذلك ... أما إذا ولدت دون أن تتزوج فهذا تفسيره الذى لا يختل فى عقول الناس وأذهانهم وهو أنها حملت سفاحاً أى من حرام ويكون ولدها ولد زنا .

وقد تجمعت هذه المعانى كلها ــ وغيرها ــ فى قلب مريم وعقلها وهى ترد على الروح الذى أرسله الله لها .. ﴿ **قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾ فهى لم تتزوج زواجاً شرعيا .. ولم تكن زانية .. ولم تكن سيئة السمعة ...

ويحكى القرآن الكريم قصة مريم مع الحمل والولادة .. يقول تعالى :
﴿ **فَحَمَلَتْه فَانتبذَتْ بِهِ مكَاناً قَصِيا ۝ فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إلى جِذْعِ النخْلةِ قَالَتْ**

يَاليتنى مِتُّ قبل هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنسياً * فَنَادَاهَا مِنْ تحتِهَا ألا تحزنى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تحَتَكِ سَرياً * وَهُزِّى إليكِ بِجِذْعِ النخْلَةِ تُسَاقِطْ عَليكِ رُطَباً جَنياً * فَكُلى وَاشْرَبى وَقَرِّى عَيْناً فَإمّا تَرينَّ مِنَ البشَرِ أَحَداً فَقُولى إنى نَذَرْتُ للرحمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليومَ إنسِياً ﴾[١]

إنها المشاعر الإنسانية التى لا تنفك عن الإنسان .

وطبيعى أن تخشى مريم المواجهة فمهما قالت فلن يصدقها القوم .. وتحاشت مواجهة الناس ﴿ **فَانتبذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصياً** ﴾ وتأمل التعبير (**انتبذت به**) لتحس مدى ثقل المعاناة التى كانت تعانيها مريم ..

معاناة نفسية .. فوق المعاناة المادية .. إنه الحمل الثقيل والرسالة الملقاة على عاتق امرأة ضعيفة .. لتواجه المجتمع بكل ما فيه من تقاليد وأفكار ...

وتأتى لحظة الميلاد العصيبة :

وتظهر حالة الضعف الإنسانى فى هذا التضرع الباكى والأمنية الحزينة ﴿ **يَالَيتَنِى مِتُّ قبل هَذَا وكُنتُ نَسياً مَنسياً** ﴾ .. ولا يملك الإنسان إلا أن يقف خاشعا أمام هذا الإحساس بالمسئولية ويمتد خشوع الإنسان أمام قوة الرسالات وصمود أصحابها .

فهذه المرأة التى اصطفاها الله على الناس حتى تحمل بشرى من أعظم البشارات بمحمد ﷺ ، جديرة بكل الإعجاب والتقدير ، وهى تواجه هذه المسئولية الجسيمة ..

ولا يمكن لأحد أن ينكر على مريم عليها السلام موقفها فهى رغم إحاطتها بنعم الله تعالى .. ورغم أنها بُشرت بهذا الوليد العظيم رسولا من الله للعالمين .. إلا أن البشارة كانت لها خاصة ؛ أما الآخرون فلم تصلهم البشارات ولذلك فهم على جهالتهم بأمرها ، فلن يكون حديثها لهم سوى خيالات وأوهام عندهم ، وسوف

---

(١) مريم : ٢٢ — ٢٦ .

يظنون بها الظنون ، ويزعمون أنها تدارى عنهم ما اقترفته من الآثام ..

إن مريم لن تواجه فرداً أو أسرة بل ستواجه مجتمعا بكل أثقاله وعاداته .

وهكذا نرى منطقية القرآن مع حوادث الميلاد المعجز لعبد من عباد الله هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ..

واستمرارا لهذه المنطقية نجد القرآن يذكر لنا كيف طيّب الوليد نفس أمه فقال لها بصوت فصيح ولسان طلق : ﴿ **أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِياً * وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً * فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْناً** ﴾[1]

وهكذا نجد الوليد منذ اللحظة الأولى يهدىء من نفس أمه .. فما عليها إلا أن تعيش فى رزق الله وتتمتع بنعمه سبحانه وتعالى حتى يشتد أزرها .. وتتخطى هذه المرحلة القاسية .. وتسترد صحتها ... وتأمل قوله لها « **وَقَرِّى عَيْناً** » ولا تقر العين إلا بما يرضى النفس ويريح البال ..

ولكن ماذا عن مواجهة الناس ؟ وماذا عن اعتراضاتهم عليها ؟ .

ويتضح من السياق القرآنى أن الله سبحانه أراد لمريم أن تتجنب هذه المواجهة .. وأن تفسح المجال فى الميدان للفارس الوليد .. فما عليها إلا أن تعلن صومها عن الكلام ﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِى إِنِى نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِياً** ﴾[2]

وهكذا تنسحب مريم عليها السلام من الميدان لتظهر المعجزة ، وتتحدد معالمها حتى لا تضل فيها العقول والأفهام .. وحتى لا تكون مريم عرضة للاتهام من أحد . وقد اشتد قلب مريم ، وقويت عزيمتها ، ولم تعد تهتم بالناس وما قد يقال فلديها البرهان الساطع ، والسيف الباتر .. واقتحمت الميدان ، ودخلت بوليدها القرية .. قال تعالى : ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُه قَالُوا يَامريم لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فرياً** *

---

(١) مريم : ٢٤ — ٢٦ .
(٢) مريم : ٢٦ .

﴿يَا أختَ هَارُونَ مَا كَانَ أبُوكِ امرأ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أملكِ بَغياً﴾[1] أرأيت إلى الاتهامات التى تكال لمريم بلا حساب ؟ هل أحسست بنغمة التأنيب القاسى تطرق آذان مريم ؟ .

إنهم لم ينتظروا منها توضيحا .. ولم يسألوها عن شأن الوليد وقصته .. بل بادروا بالاتهام « **لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياً** .. » فكيف يحدث منها ذلك وهى ذات الأصل الطيب الطاهر ؟ ..

وكانت الإجابة المقتضبة من مريم عليها السلام إجابة الترفع عن سفاسف الأمور .. إنها إجابة تبعد عن المهاترات والقيل والقال ...

« **فأشارت إليه** ... » وكأنها تقول لهم سلوه ما شأنه ... وما حكايته ؟ ..

ولم ينتظر الوليد المبارك بل سارع للإجابة حتى يقصم ظهر الخديعة ، ويبتر شوائب الظنون .. وكى تكون الحقيقة واضحة لذى عينين .. فماذا قال لهم الوليد ؟ .

﴿قَالَ إنى عَبْدُ اللهِ آتانِىَ الكِتَابَ وَجعلنى نَبياً * وَجَعلَنِى مُبارَكاً أينما كُنْتُ وَأَوْصَانى بِالصّلاةِ وَالزكاةِ مَا دُمْتُ حَياً * وَبرّاً بِوَالِدَتى وَلم يجعلْنِى جَبّاراً شَقياً * وَالسّلَامُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أموتُ وَيَوْمَ أُبعَثُ حَيّاً﴾[2]

هذه هى حقائق القضية واضحة جلية .

* فهو عبد الله ...
* آتاه الله الكتاب ...
* وجعله نبيا .. وجعله مباركا ...
* وأوصاه بالصلاة والزكاة ..
* كما أوصاه بأن يبر والدته ...

---

(١) مريم : ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) مريم : ٣٠ ــ ٣٣ .

* وميزه بطبيعة هادئة فهو ليس من الجبارين العصاة الأشقياء ..

وهكذا نرى معجزة المسيح عليه السلام تتجلى فى هذا الإعلان العظيم ... فهو بشر من عباد الله المخلصين وهو من حملة الكتاب والرسالة ، والصلاة واجبة عليه ، وهو مطالب ببر والدته .. وقد تكلم المسيح بكل ذلك عقيب لحظة الميلاد حتى لا تضيع الحقيقة ..

فلو ظل المسيح صامتا لتاهت حقائق الإعجاز ولو أنه تكلم عن تبرئة مريم أمه فقط لظنت به الناس الظنون ...

موازنـــة :

نستطيع أن نصل بعد هذا التفصيل إلى حقائق منها :

١ ـــ يركز الإنجيل على البشارة ليوسف المدعو خطيب مريم .. وجاءت البشارة على هيئة (حلم) كى يقوم ويأخذ امرأته ، ولم يعرفها حتى ولدت ..

٢ ـــ جاء الحديث عن لحظات الولادة خاطفا فلم يزد على أنها ولدته وقمطته ووضعته فى المزود ..

٣ ـــ عندما زارت مريم قريبتها الياصابات زوج زكريا وهى حبلى فى الغلام « يحيى » أو « يوحنا » ابتهجت الياصابات لزيارة مريم ، وأحست أن الجنين ارتكض فى بطنها (حسب رواية لوقا)[١] وكما تقول الرواية : « امتلأت الياصابات من الروح القدس . وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك ...»

والشاهد أن الوليد كان ذا شأن منذ أن كان جنينا فى بطن أمه كما تروى هذه الرواية فما بَالُ كُتَّاب الأناجيل سكتوا عن لحظة الميلاد .. ودونوا ما هو أقل منها شأنا كظهور نجم المولود للمجوس فإن ميلاد المسيح لا شك أعظم من ظهور نجمه .

---

(١) لو ١ : ٣٩ ـــ ٥٦ ولم يرد ذكر لذلك فى الأناجيل الأخرى .

٤ ــ لم ترد البشارة ليوسف إلا فى متى (١ : ١٨ ــ ٣٥) وأغفلها الكُتّابُ الثلاثة الآخرون .

٥ ــ ركزت الأناجيل على أمور وظواهر تخدم اتجاه الزعم بألوهية المسيح مثلما قرأنا عن امتلاء الياصابات بالروح القدس .. ومجىء المجوس وسجودهم للمسيح وكلها لا تبرر إغفال الأناجيل لمعجزة الميلاد ولحظة المواجهة بين مريم وقومها .

٦ ــ فإذا انتقلنا إلى بشارة القرآن نجده يفيض فى ذكر لحظة الميلاد ، ويتحدث عن مشاعر مريم الإنسانية ، ويذكر أيضا معجزة كبرى تتغاضى عنها الأناجيل ولعل السبب فى تجاوزها وعدم ذكرها فى الأناجيل أنها صريحة فى عبودية المسيح لله ، وهذا يناقض ما يزعمه الرواة لهذه الأناجيل .

* * *

معجزات الشفاء

أولاً : الأمراض الجلدية

« فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثيا وقائلا له إن أردت تقدر أن تطهرنى فتحنن يسوع ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر . فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر . فانتهره وأرسله للوقت وقال له انظر لا تقل لأحد شيئا بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم . وأما هو فخرج وابتدأ ينادى كثيراً ويذيع الخبر حتى لم يعد يقدر أن يدخل مدينة ظاهراً بل كان خارجا فى مواضع خالية وكانوا يأتون إليه من كل ناحية »[١]

(مر ١ : ٤٠ — ٤٥) .

جاء المريض إلى الرجل الذى سمع عنه أنه يستطيع أن يداويه .. وهذه الفكرة لم تنشأ عند الرجل من فراغ .. فهو مريض يبحث عن علاج . ويذهب إلى الأطباء فلا يجدى الدواء نفعا ، ولما سمع عن هذا الشخص ذهب إليه وتوسل بين يديه أن يطهره مما هو فيه من البلاء . وداء البرص داء مقزز .. يسىء إلى صاحبه ويتباعد عنه أهله وإخوانه ..

والبرص مرض جلدى يغير لون الجلد المصاب إلى اللون الأبيض ويصير كأنه أملس فإذا أصاب الإنسان ظهر بقعا بيضاء وبقعا داكنة (وهى التى لم يزحف إليها المرض والعياذ بالله) .

ولما ذهب الرجل إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام توسل إليه وطلب إليه أن يخلصه من هذا الداء[٢] وظهرت المعجزة ، وشفى الرجل من مرضه ..

---

(١) وردت هذه المعجزة فى مت (٨ : ١ ، ٣ — ٤) وفى لو : (٥ : ١٣ — ١٦) وهى لا تختلف كثيرا عن الرواية التى استندنا إليها .

(٢) زعم البعض أن البرص هو الجذام وليس الأمر كذلك فالجذام تآكل فى الأطراف والعياذ بالله .. أما البرص فهو كما وضحنا . والله أعلم .

وذهب عنه البرص ..

وأحس المسيح عيسى بن مريم بما يدور فى نفس الرجل من سعادة ، وما يمكن أن يصدر عن هذا الشعور من سلوك لا يتناسب مع قضية الإيمان ، فانتهره وقال له « **انظر لا تقل لأحد شيئا** .. » وفى العبارة تحذير للرجل حتى لا تتحول المعجزة إلى أمثولة أو مادة للتندر والحكاية ...

ويرتبط المسيح عيسى بالناموس .. أى بشريعة موسى عليه السلام إذ يطلب من الرجل أن يذهب إلى الكاهن ويعرض عليه نفسه وأن يقدم ما أمر به موسى « **شهادة لهم** » أى اعترافا بالناموس والشريعة وإعلانا أن المسيح لم يأت بشىء جديد بل هو استمرار لرسالات الله سبحانه وتعالى ..

وهكذا نجد أمرين :

١ ــ حرص المسيح على أن يخفى معجزته وألا يقول الرجل عنها شيئا لأحد ، فليس المسيح لاعبا ماهراً يريد أن يظهر أمام الناس وإنما هو رسول من رسل الله تعالى يدعو إلى الإيمان بالله الواحد القهار .

٢ ــ تمسك المسيح بالشريعة وهو ما أعلنه مرارا فلم يأت ليتحلل الناس من قانون الشريعة ..

« **وفيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال برص فوقفوا من بعيد . ورفعوا صوتا قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا . فنظر وقال لهم اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة . وفيما هم منطلقون طهروا . فواحد منهم لما رأى أنه شفى رجع يُمجِّد الله بصوت عظيم . وخرّ على وجهه عند رجليه شاكرا له .. وكان سامريا فأجاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله غير هذا الغريب الجنس . ثم قال له قم وامض . إيمانك خلَّصك** » (لو ١٧ : ١١ ــ ١٩) .

وهذه المعجزة من جنس سابقتها وتسير فى نفس الاتجاه وحين يقابله العشرة نلحظ ما يأتى :

١ ــ التوسل إلى المسيح كى يعمل على شفائهم رحمة بهم .
٢ ــ أمرهم المسيح أن يذهبوا إلى الكهنة ويعرضوا أنفسهم وذلك حتى يوضح لهم أن لا تعارض بين شفائهم على يديه وما يمثله الكهنة من شريعة موسى عليه السلام .
٣ ــ رجع واحد من العشرة إلى المسيح وشكره على ما فعله .
٤ ــ كان المسيح يتمنى أن تؤتى المعجزة ثمارها فيؤمن العشرة جميعهم برسالته وخصوصا أنه لم يحرضهم على الكهنة .. ولم يطلب منهم مقاطعتهم .
٥ ــ يوضح المسيح لهذا الإنسان الذى رجع إليه وآمن برسالته أنه أصاب من الله فضلا بأن هداه إلى الإيمان وخلصه من الكفر بالرسالة .
وكأنه قال له إنك أصبت من الله تعالى خير الدنيا بشفائك من المرض على يدى رسوله .. كما أصبت خير الآخرة بإيمانك بالرسالة .
٦ ــ ليس فى هذه المعجزة ولا فى سابقتها ما يشير من قريب أو بعيد إلى زعم المنتسبين إلى المسيح بأنه إله أو ابن لله سبحانه وتعالى .. بل إن مثل هذه المعجزات دليل دامغ على أن المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله .

ثانياً : الأمراض العقلية

« ولما جاء إلى العِبْر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدًّا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق . وإذا هما قد صرخا قائلين ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا إليه قائلين إن كنت مخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا .

فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير . وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه .

وأما الرعاة فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شىء وعن أمر المجنونين . فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ولما أبصروه طلبوا منه أن

ينصرف عن تخومهم » (مت ٨ : ٢٨ ــ ٣٤) .

وقد وردت هذه الحكاية فى (مر ٥ : ١ ــ ٢٠) وفى (لو ٨ : ٢٦ ــ ٣٩) إلا أنها لم ترد فيها عن اثنين .. بل وردت عن مجنون واحد ..

وهذه حكاية مشهورة ، فأهل الكورة أو المدينة كانوا يعلمون أمر هذا المجنون ، ولشهرته فلا يمكن أن يخفى عليهمْ إن كان واحداً ، أو كانا اثنين .

وعلى افتراض أن أهل المدينة قد اختلط عليهم الأمر وأذهلهم الفزع فلم يستطيعوا أن يتبينوا حقيقة المجنون أهو شخص واحد أو شخصين .. فإن هذا الذهول لا ينبغى أن يؤثر فى كتبة الإناجيل الذين يزعم القوم أنهم كتبوها بالوحى وبعد الامتلاء من الروح القدس .. فهل يعجز الروح القدس أن يُبيِّن الحقيقة لِكُتَّابِ الأناجيل ؟

أم ربما كان لكل كاتب منهم روح خاصة به تملى عليه ما تشاء ..

فالاختلاف فى أمر المعجزة وحقيقتها يشكك فى وقوعها .. أو يشكك فى حقيقة نقلها .. ولما كنا نؤمن بأن عيسى عليه السلام جرت على يديه معجزات كثيرة أخطر من شفاء مجنون أو اثنين .. فإنا على يقين من قدرة الله تعالى .. فهو يستطيع أن يُمكِّنَ عيسى وغيره من شفاء المجانين وإخراج الأرواح النجسة ..

بقى أمر كتابة المعجزة ونقلها .. وهذا ما نرجح الاضطراب فيه .

وقد زعمت الرواية أن المجنون (أو المجنونين) قد صرخ بصوت عظيم (ما لنا ولك يا يسوع ابن الله) .

وهذه الصرخة تفتح لنا باب التساؤل :

هل الصارخ هو الرجل المجنون أم الروح النجسة ؟ وتجيب رواية مرقس على هذا حيث تقول « **فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له . وصرخ بصوت عظيم وقال ما لى ولك يا يسوع ابن الله العلى . أستحلفك بالله أن لا تعذبنى . لأنه قال له اخرج من الإنسان يا أيها الروح النجس . وسأله ما اسمك فأجاب قائلا اسمى « لجئون » لأننا كثيرون »** .

هذه الرواية تبين أن الصارخ ليس المجنون وإنما هى صرخة الروح النجس

والمتأمل فى الرواية يستطيع أن يتبين :

* أن الصارخ سجد .. والسجود دليل الإيمان .

* أنه اعترف بأن المسيح ابن الله فهو على زعم المنتسبين للمسيح مؤمن على طريقهم ..

* أنه استحلفه بالله ألا يعذبه .. فهو يريد النجاة أو الخلاص حسب التعبير السائد لدى المسيحيين .

ورغم كل ذلك فشا الروح الصارخ الذى سجد واستحلف فشل فى أن ينال الخلاص ويتطهر .

فما تفسير هذا العجز .. ؟

لو كان المسيح إلها أو ابنا لله لاستطاع أن يهب الخلاص ؛ ولكن كل ما فعله — حسب هذه الروايات — أن خرجت الأرواح النجسة إلى الخنازير « فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر وكان نحو ألفين فاختنق فى البحر » وهكذا تحولت المعجزة إلى خسارة مادية فادحة حيث ماتت الخنازير وهى ثروة لدى أصحابها .. مما دفع أهل البلدة إلى أن يطردوا المسيح من أرضهم وطلبوا أن ينصرف عن تخومهم ..

وكان الأحرى أن تتم المعجزة فتتحول مثلا الأرواح النجسة إلى أرواح طاهرة .. أو أن يكون شفاء المجنون بلا تزيد .. أو تقوّل .. إذ إن الحديث عن الأرواح التى صرخت ثم خرجت إلى الخنازير التى اندفعت إلى البحر .. كل ذلك أقرب إلى الأساطير الشعبية منها إلى المعجزات النبوية والله أعلم .

جاء فى (مت ٩ : ٣٢ — ٣٤) .

« وفيما هما خارجان[١] إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه ، فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر قط مثل هذا فى

---

(١) إشارة إلى اثنين أعميين وسيأتى الحديث عنهما فى موضع آخر إن شاء الله تعالى .

أسرائيل أما الفريسيون فقالوا : برئيس الشياطين يخرج الشياطين »

يبدو أن هذه المعجزة ليست متعلقة بالعقل بقدر ما هى متعلقة باللسان .. فهذا الإنسان كان أخرس .. وربما أداه خرسه إلى تصرفات حمقاء ظن البعض أنها صادرة عن اختلال فى العقل بينما هى ناتجة عن ضيق نفسى لعدم قدرته على التكيف مع المجتمع .. ويؤيد ذلك أن العبارة أشارت فقط إلى (تكلم الأخرس) ولم تُشِرْ إلى شفاء العقل مع أنه أهم من كلام الأخرس .. فلو كان مجنونا وتكلم لكان أثر جنونه ظاهرا فى كلامه أكثر من ظهوره فى الخرس وانعقاد اللسان ..

وهذه العبارة لم ترد سوى فى إنجيل متى وهى كسابقتها تُرجِعُ علة الداء الى الشياطين أو الأرواح النجسة .. وهذا التعليل لا يقره العلم الحديث .. وقد كانت مثل هذه التفسيرات صالحة للعهود البدائية مما يؤيد القول بأن الأناجيل ثمرة لثقافات العصور التى كتبت فيها ، مما يبعد عنها الزعم بأنها وحى من الله تعالى .

وأما الأثر الذى تركته هذه المعجزة فى الناس فليس أكثر مما تركته سابقتها .. فإذا كانت المعجزة السابقة تمثل خسارة اقتصادية دفعت الناس إلى أن يطلبوا من المسيح مغادرة حدودهم فإنهم لم يزيدوا فى هذه المعجزة على إظهار الدهشة لما يرون إذ لم يسبق أن شاهدوا مثل هذا فى اسرائيل ، بل إن فريقا من الناس قد اتهمه بالدجل والاستعانة برئيس الشياطين ..

« وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس ، فصرخ قائلا : آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى . أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلا اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه . فتحيروا كلهم » . (مر ١ : ٢١ ــ ٣٤)

مثل هذه الروايات تدلنا على أنهم كانوا يعتبرون الصرع من الأرواح النجسة .. وقد صرخ الروح النجس فى وجه المسيح حسب الرواية التى معنا .. ويقول له إنك أتيت لإهلاكنا .. ثم يقول « **أنا أعرفك من أنت قدوس الله** .. » .

والعجيب أن الأرواح النجسة تعلم أنه قدوس الله فينتهرها .. « اخرس » فهل كان المسيح حريصا على إخفاء حقيقة أنه قدوس الله ؟ .

وكيف عجز المسيح عن أن يقنع الناس حوله بما عرفته الأرواح النجسة .. والروح النجس كيف يتطهر ؟ .

وقد جاء فى لو (٤ : ٤١) « **وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول : أنت المسيح ابن الله فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح** » .

فلم يقبل منهم المسيح أن يعلنوا هذا الكذب .. إذ لعلهم أرادوا بنجاستهم أن يدنسوا رسالة المسيح ، ويزعموا أنه ابن الله ولهذا فقد انتهرهم ومنعهم من الكلام .. ولو صح أنه ابن الله كما يزعمون لترك الكل يلهج باسمه ويعلنه لعل الناس يصدقون ، بل إن هذه الأرواح النجسة تكون مؤمنة حسب قانون الإيمان المسيحى .

ولو افترضنا جدلا أنه منعهم من الكلام بما عرفوا لكان معنى ذلك أن المسيح منعهم من الحق وهذا خارج عن مفهوم رسالته .. فصار للمنع مفهوم واحد .. أن الأرواح النجسة لما زعموا أنه ابن الله انتهرهم وأخرسهم وهذا وجه عظيم من أوجه الإعجاز ... لو كانوا يعلمون .. فالمسيح بذلك يؤكد على أنه ليس لله ابن .. سبحان الله عما يصفون .

ونقرأ هذه العبارات لنتبين بعض أوجه الحقيقة « **فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه** » مر (١ : ٣٤) .

« **وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح** » لو (٤ : ٤١) .

وبالموازنة بين هذين النصين نجد أنهما يتحدثان عن موقف واحد وهو إخراج الشياطين من كفر ناحوم عند غروب الشمس[١]

---

(١) راجع « اتفاق البشائر » ص ٢١ ــ ٢٢ ، مر (١ : ٣٢) ، لو (٤ : ٤٠) .

إلا أن إحدى الروايتين يُفهم منها أن الشياطين مُنِعُوا من الكلام فلم يتكلموا وهى رواية مرقس أما رواية لوقا ففيها أنهم تكلموا بما تكلموا به ثم مُنِعُوا بعد .

وهذا غير واضح ، ولا زال مفهوم المنع يدور حول رفض المسيح ما تقوله الأرواح النجسة وتزعم أنه ابن الله ، وفى هذا دليل من الإنجيل على أن من يقول عن عيسى أنه ابن الله فهو من ذوى الأرواح النجسة . « **ولما جاءوا الى الجمع تقدم إليه رجل جاثيا له . وقائلا يا سيد ارحم ابنى فإنه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيرا فى النار وكثيراً فى الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه . فأجاب يسوع وقال أيها الجيل غير المؤمن الملتوى . إلى متى أكون معكم . إلى متى أحتملكم . قدموه إلىّ هاهنا فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة . ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم يسوع لعدم إيمانكم ..** »[١] .

(مت ١٧ : ١٤ ــ ٢١)

وهذه معجزة مكررة كما ترى ولكن يهمنا منها ما جاء فى ثناياها من تعليم المسيح للناس حسب الرواية التى بين أيدينا .. فلقد تقدم إليه الأب راجيا أن يخلص ابنه من هذه الروح الشريرة التى تنتابه وتصرعه ، وقبل أن يقوم المسيح بالمعجزة يخاطب الجيل كله من خلال هذه المعجزة .

* فيبين أنه جيل غير مؤمن بالرسالة ولكنه ــ تبعا لذلك مؤمن بمصالحه الشخصية .

* وأن هذا الجيل فيه التواء .. حيث يدعوهم إلى عبادة الله وحده فيراوغون ، ويحاورون .

* ثم يبين لهم أن بقاءه محدود ــ كغيره من البشر ــ فقال « إلى متى أكون معكم .. ؟ » أى عليهم أن ينتهزوا الفرصة فيؤمنوا برسالته وأن الله أرسله إذ إن

---

(١) جاءت هذه القصة فى (مر ٩ : ١٤ ــ ٢٩) وفى (لو ٩ : ٣٧ ــ ٤٣) راجع « اتفاق البشائر » ص ٦٨ .

بقاءه معهم قليل ومعجزاته لن تدوم .. فليطلبوا من الله ما يريدون لا من المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ..

* كما بين لهم أن طاقاته محدودة كأى فرد من الأفراد « **إلى متى أحتملكم ؟** » فهو يوضح للناس أنه لا يستطيع أن يستجيب لطلباتهم ولا يمكنه أن يلبى حاجاتهم لأن الله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك . ولذا فهو يوجههم إلى الطلب من الله الواحد القادر سبحانه .

وقد ورد فى القصة سؤال التلاميذ للمسيح عليه السلام عن سر عجزهم .. فبيّن لهم أنهم غير مؤمنين وكأنه يطلب إليهم أن يرتفع إيمانهم إلى مستوى إيمانه عليه السلام ..

ولا يطلب منهم ذلك إلا لكونه بشراً رسولاً .. فهو يستحث فيهم اليقين الذى ينبغى ألا يتزعزع .

والشاهد مما أوردناه أن المعجزة التى كانت تجرى على يد المسيح عليه السلام قد جاء فى ثناياها ما يبرهن على أنه عبد الله ورسوله وينفى عنه زعم الألوهية .

والحمد لله رب العالمين .

ثالثاً : الأمراض العصبية

جاء فى (مت ٩ : ١ ــ ٨) :

« فدخل السفينة واجتاز وجاء إلى مدينته وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحا على فراش . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بنى . مغفورة لك خطاياك وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف . فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم . أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك . أم أن يقال قم وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا . حينئذ قال للمفلوج . قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك . فقام ومضى إلى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا

وممجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا »(١)

وهذه المعجزة ــ حسب الرواية ــ قدمت الإيمان والمغفرة على شفاء المريض ، فالتخلص من أثقال الأوزار أجدى وأنفع من التخلص من الأوجاع والأسقام . وقد فسر مجىء القوم إلى المسيح عيسى بن مريم ــ رغم الزحام حوله كما تذكر الروايات الأخرى ــ على أنه إيمان بالرسالة وتعظيم للرسول .

ويحضرنى فى مثل هذا الموقف قول الله تعالى ﴿ **وَلَوْ أنهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاسْتغفَرُوا اللهَ وَاسْتغفَرَ لهمُ الرسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَاباً رَحِيماً** ﴾(٢)

فالمجىء إلى الرسول ﷺ دليل الإيمان ومظهر لدوافعه الخفية فى نفس الإنسان وقد فهم المسيح عليه السلام ــ حسب الرواية ــ هذه الدوافع فطمأن المريض بأن الله غفر له خطاياه(٣) وقد أحس المسيح عيسى بن مريم بما يدور فى خواطر الكتبة فأراد أن يعطيهم درساً واقعيا . وهنا تتحول المعجزة فى خدمة الإيمان إذ يأمر المسيح عيسى بن مريم الرجل المفلوج (أى المشلول) أن يقوم ويحمل سريره ويمضى إلى بيته وذلك حتى يزيل ما عندهم من شك فى صدق رسالته ..

ويأتى دور الجموع ليؤكدوا على بشرية المسيح عليه السلام « **وممجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا .. »**

فالله وحده هو القادر على أن يعطى مثل هذا السلطان ، وهذا السلطان إنما يقوم به الناس ؛ أى البشر لا الآلهة ..

« فى أورشليم عند باب الضَّأنِ بركة يقال لها بالعبرانية بيت حِسْدَا لها خمسة

---

(١) حكى هذه الرواية كل من كاتبى إنجيل مرقس ولوقا بتفصيل أكثر .. ورأينا الاكتفاء بما جاء فى متى إذ التفاصيل الأخرى لا تمثل شيئا ذا بال ... راجع « اتفاق البشائر » ص ٢٣ .

(٢) النساء : ٦٤ .

(٣) نجد نظيرا لهذا كثيرا من الأحاديث النبوية التى تبشر المؤمنين بأن الله قد غفر لهم .. ومثاله العشرة المبشرون بالجنة .. وهذا دليل رسالة لا دليل ألوهية .

أروقة وفى هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمى وعُرج وعُسْم يتوقعون تحريك الماء لأن ملاكا كان ينزل أحيانا فى البركة ويحرك الماء فمن نزل أولا بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له زمانا كثيرا فقال له أتريد أن تبرأ ؟ أجابه المريض يا سيد ليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تحرك الماء . بل بينما أنا آت ينزل قدامى آخر . قال له يسوع قم .. احمل سريرك وامش فحالا برىء الإنسان وحمل سريره ومشى » يو (٥ : ١ — ٩).

يبدو أن هذا المريض مشلول لا يكاد يستطيع المشى ، وقد عسكر حول البركة جمع غفير من المرضى ومعهم هذا المريض .. والكل ينتظر تحريك البركة ليسارع بالنزول قبل غيره ؛ وربما فشل هذا المريض أكثر من مرة فى السبق إلى البحيرة . وقد أحس المسيح عيسى بن مريم به فاختاره ليكون موضوع المعجزة هذه المرة . وقد سأله المسيح عن آماله فى الشفاء فأخبره أنه ليس له أحد ، من أهل أو أقارب ، ولعل المسيح عليه السلام أراد أن ينبه حسب هذه الرواية إلى أن الإيمان هو سند كل إنسان فى هذه الحياة .

وعندما تواصل قراءة رواية يوحنا تستطيع أن تصل إلى أن المسيح عبد الله ورسوله « **الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل** »[١] ... « **لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا** » « **لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب[٢] الذى أرسلنى** » .. وكل هذا دليل على عبودية المسيح لله تعالى .

جاء فى مر (٣ : ١ — ٦) :

« **ثم دخل أيضا إلى المجمع ، وكان هناك رجل يده يابسة . فصاروا يراقبونه**

---

(١) هذه العبارة تعد دليلا على أن المسيح ليس ابنا لله أو إلها كما يزعم الزاعمون . فهو لا يقدر أن يعمل .. إلا ما ينظر الآب يعمل فهو يأكل فهل رأى الآب يأكل ، ويتغوط فهل رأى الآب يفعل ذلك ، مما يدل على كذب ادعاء ألوهية المسيح .. نسأل الله العافية .

(٢) الآب ليس معناها الوالد بل الرب .

هل يشفيه فى السبت لكى يشتكوا عليه . فقال للرجل الذى له اليد اليابسة قم فى الوسط ثم قال لهم هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ تخليص نفس أو قتل فسكتوا .. فنظر حوله إليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مد يدك فمدها فعادت يده صحيحة كالأخرى .. »

وجاء فى مت (١٢ : ٩ — ١٤) :

« أى إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه . فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت » كما جاء أيضا فى لو (٦ : ٦ — ١١)

ولعل موضوع هذه المعجزة ليس مجرد شفاء مريض بل هو تعديل النظر إلى السبت حيث كان اليهود يُحرّمون العمل يوم السبت فوضح لهم أن عمل الخير لا يحرم فى السبت ولا فى غيره .. وبيّن لهم أن الإنسان أفضل من الخروف .

وقد طلب المسيح عيسى من المريض أن يقف فى وسط الجمع حتى يظهر لهم المعجزة .. ولعل فى هذا تحديا لهم .. وتنبيها لعقولهم حتى يؤمنوا برسالته .. والله أعلم .

رابعاً : أمراض العيون

« وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود . ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان . فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا قالا له نعم يا سيد . حينئذ لمس أعينهما قائلا بحسب إيمانكما ليكن لكما . فانفتحت أعينهما فانتهرهما يسوع قائلا انظرا لا يعلم أحد . ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها »

مت (٩ : ٢٧ — ٣١)

وفى هذه المعجزة نلمس إصرار الأعميين على سؤال الرحمة من ابن داود .. كما أن المسيح سألهما عن مدى إيمانهما .. وكأن المعجزة فى حد ذاتها وسيلة للإيمان بالله وبرسالة عيسى بن مريم .

ولما انفتحت أعينهما انتهرهما المسيح قائلا :

« **انظرا لا يعلم أحد** » وهكذا كان حريصا دائما على أن تبقى المعجزات سرًّا حتى لا يعطيها الناس فوق ما تستحق .. ولو كان إلٰها حقا لما حرص على إخفاء مقدرته عن الناس .

بل أقول لو كان إلها كما يزعمون للمس قلوب كل البشر دون حاجة إلى عناء الرسالة . وقد خرج الأعميان اللذان أبصرا ليعلنا ذلك للناس جميعا فى كل ناحية ..

فبماذا نفسر هذا العصيان .. ؟

لقد كان المسيح كثيرا ما يطلب من المرضى أن يكتموا عن الناس أخبار شفائهم على يديه لأن المسيح عليه السلام لم يكن يريد أن يتحول إلى طبيب أو جراح ولم يكن يرجو أن تتحول الرسالة بموضوعها إلى مجرد طلبات شخصية محدودة ....

إنه مرسل من الله برسالة .. والمعجزة وسيلة لإثبات هذه الرسالة وتأكيد جوانبها فلا ينبغى أن تتحول الوسيلة إلى هدف وغاية حتى لا تطغى على الهدف الأصلى .. ولذا كان المسيح حريصا على التوصية بالكتمان ..

ولكن يأبى المرضى إلا أن يعصوا أمر المسيح عليه السلام ، وربما غطت فرحتهم بالشفاء والبرء على حرصهم على الطاعة والاستجابة ..

« **وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى . أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . ما دمت فى العالم فأنا نور العالم . قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مُرَسَلٌ فمضى واغتسل وأتى بصيراً ...** » يو ٩ : ١ ــ ٧

● ● ●

وقد سئل الشخص عن هذا الذى رد إليه بصره .

« ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك فقال إنه نبى .. » .

● ● ●

كما جاء فى سياق القصة فى يوحنا أن الفريسيين ناقشوا الرجل مرة بعد مرة .. والسياق لا يدل على ألوهية المسيح بل جاء فيه .

« فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجا فوجده وقال له أتؤمن بابن الله .. »

وقد رأينا ما يناقض هذا المعنى فى كل ما مر بنا . يوضح لهم أن الخطأ ليس سببا للعمى أو غيره ولكن إرادة الله اقتضت ألا تكون هذه الحياة تامة بل لا بد فيها من العجز والنقص .. فهذا صحيح اليد وهذا مريضها .. وذاك يعانى مما لا يعانى منه غيره .. وذلك كى تظهر نعمة الله تعالى فمن رأى المصيبة فى غيره يشكر الله أنه لا يراها فى نفسه .. وإذا كانت عنده بلوى وازنها بما أصيب به غيره حتى تستريح نفسه .

وإذا دققنا النظر فى القول المروى عن المسيح عليه السلام « **ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل** » .

فإننا نجد أن المسيح عليه السلام يعلن أنه رسول من الله تعالى .. وأن الأعمال التى يعملها أو التى تجرى على يديه ليست من عند نفسه بل إنها أعمال أجراها الله على يديه ..

« ما دام نهار » أى ما دامت الرسالة مستمرة فهى نهار دائم ..

« يأتى ليل .. » بعد انتهاء الرسالة .. وهى الفترة التى أعقبت المسيح عليه السلام . فقد كانت ليلا دائما حتى جاء النهار برسالة الإسلام . وقد سئل الرجل فقال إن الذى شفاه نبى وهذا دليل على أن الأعمال التى يقوم بها المسيح لا تخالف أعمال النبوة ..

يضاف إلى ذلك انفراد يوحنا بذكر هذه القصة رغم أهميتها ورغم ما فيها من دلالات تساير الأهواء .. فلم يذكرها كُتّاب الأناجيل الأخرى ولم يشيروا إليها رغم

أنهم ذكروا حوادث أقل منها شأنا . لم يذكرها يوحنا .. وفى هذا دليل على نقض القصة من أساسها أو دليل على التغيير فيها تغييرا يوجب بطلان نهايتها أن المسيح زعم للرجل أنه ابن الله والمسيح فى كل مرة كان يعلن أنه يعمل مشيئة الذى أرسله .. وأنه نبى .. الخ

وإذا اعتمدنا الآراء التى تقول إن إنجيل يوحنا كتب متأخرا أو لعله من أواخر الكتب .. فمعنى ذلك أنه ربما وضع لتأييد اتجاه الزعم بألوهية المسيح ، ولذلك فهو من أول عبارة فيه يزعم هذه الألوهية[1] ولهذا فليس عجيبا أن يكون هذا الإنجيل من أكثر الأناجيل هدفا للنقد والشك فى حقيقته ..

ويهمنا فى رواية يوحنا قصة الأعمى أن التلاميذ سألوا المسيح متوهمين أن عمى هذا كان نتيجة لخطأ ما .. ولكن المسيح عليه السلام « **وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير . وإذا أعميان جالسان على الطريق ، فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود . فانتهرهما الجمع ليسكتا فكانا يصرخان أكثر .... فوقف يسوع وناداهما وقال ماذا تريدان أن أفعل بكما . قالا له ياسيد أن تنفتح أعيننا فتحنّن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه** » مت (٢٠ : ٢٩ ــ ٣٤) .

وردت هذه القصة كذلك فى (مر ١ : ٤٦ ــ ٥٢) وكذا فى (لو ١٨ : ٣٥ ــ ٤٣)

ولكن كلتا الروايتين زعمت أنه أعمى واحد « كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالسا على الطريق يستعطى ... »

. والموقف كما يظهر واحد وهو عند أريحا .. ولهذا الاختلاف فى الحادثة مغزاه عند أهل العلم والتحقيق . فالذين كتبوا عن الحادثة الواحدة لم يلتقوا ، ولم يروها ، وإذا كانوا شاهدوها فإنهم لم يتحققوا منها .. ولو تحققوا منها لما اختلفوا فى أبسط

---

(١) راجع مقدمة إنجيل يوحنا ..

مظاهرها .. وخصوصا كان الجمع حاشدا كما يوحى — بل ويصرح — النص بذلك ...

وأكاد أتخيل صورة المسيح عليه السلام كما توضحها العبارة السابقة وخلفه الجمع الحاشد وكأنه رجل يعرض مهاراته فى الأسواق يتبعه الغوغاء لمجرد التسلية لا ابتغاء الإيمان بالرسالة ..

إنه أقرب إلى ما يسميه بعض المسلمين شيخ الطريقة الذى يتبعه الأتباع للنيل من الموائد والتمتع بالنفحات .

ولا نريد أن نحط من شأن رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام .. ولكننا نستنبط صورة كتبها عنه بعض من كانوا قريبين من عهد البعثة العيسوية ..

ونعوذ بالله من السخرية بأحد .. فنحن والحمد لله من المؤمنين بأن الله أرسل أنبياء اصطفاهم .. وآتاهم الفضل .. « **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** » ونسأل الله العافية .

« وجاء إلى بيت صيدا ، فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه . فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئا . فتطلع وقال أبصر الناس كأشجار يمشون . ثم وضع يديه أيضا على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحا وأبصر كل إنسان جليا . فأرسله إلى بيته قائلا لا تدخل القرية ولا تقل لأحد فى القرية » (مر ٨ : ٢٢ — ٢٦)

وهنا لا يتقدم الأعمى للمسيح عليه السلام بل يأخذه الناس إليه ويطلبون إليه أن يلمسه ولذلك كان تصرف المسيح فى هذه غير تصرفه فى غيرها ...

* فأخرجه إلى خارج القرية .. ولم يكن يفعل ذلك قبلها .
* وتفل فى عينيه ولم يسبق أن تفل فى عين أحد ممن روى أنه شفاهم بإذن الله .
* ووضع يده عليه بعد ذلك ..
* وقد سأله ... ولم يكن يسأل أحداً ممن روى أنه شفاهم كذلك بإذن الله .

* إن البصر لم يعد إليه مرة واحدة كما حدث مع من سبق بل عاد تدريجيا فأبصر الناس مثل الأشجار .. ثم وضع يده عليه حتى أبصر أخيرا وقد أرسله إلى بيته وأوصاه كذلك ألا يقول لأحد شيئا .

ومن تطورات المعجزة وتحولاتها التى وردت فى هذه العبارة نلمس صدق الرسالة .. وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله .. ولو كان إلها لما صنع كل ذلك من أجل مريض واحد .

* * *

معجزات للقادة

« فجاء يسوع أيضا إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمرا ، وكان خادم للملك ابنه مريض فى كفر ناحوم . هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفى ابنه لأنه كان مشرفا على الموت . فقال له يسوع لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب . قال له خادم الملك ياسيد انزل قبل أن يموت ابنى . قال له يسوع اذهب . ابنك حى فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب . وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين إن ابنك حى . فاستخبرهم عن الساعة التى فيها أخذ يتعافى فقالوا له أمس فى الساعة السابعة تركته الحمى ففهم الأب أنه فى تلك الساعة ... » (يو ٤ : ٤٦ ــ ٥٤) .

تعرض الفقرة إلى موقفين :

الأول :حرص الخادم على أن يُشفى ابنه إذ عندما سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية .. انطلق إليه وسأله أن يشفى ابنه ..

كما أن الخادم .. لم يلق باله إلى مقالة المسيح عن الإيمان بل تعجله « **ياسيد انزل قبل أن يموت ابنى** » فلما لم يجد المسيح منه إصغاء .. وأحس لهفته قال له : اذهب ابنك حى .. وكأنه يقول له : لك ما تعجلته من مطالب دنيوية ...

الثانى : حرص المسيح عليه السلام على قضية الإيمان .. وكان يتمنى أن يكون الإيمان فى نفوس الناس مطلقا لا يتقيد بقيود المعجزة ولذا قال حسب هذه الرواية « **لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب** .. »

« ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء إليه قائد مائة يطلب إليه ويقول يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجاً متعذبا جداً . فقال له يسوع أنا آتى

وأشفيه . فأجاب قائد المئة وقال ياسيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفى لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى . لأنى أنا أيضا إنسان تحت سلطان لى جند تحت يدى أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر ائت فيأتى ولعبدى افعل هذا فيفعل . فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعون . الحق أقول لكم لم أجد ولا فى اسرائيل إيمانا بمقدار هذا .

وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب . ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فَيُطَرحُونَ إلى الظُّلْمَةِ الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وكما آمنت ليكن لك . فبرأ غلامه فى تلك الساعة » .

(مت ٨ : ٥ ــ ١٣)

كما وردت فى (لو ٧ : ١ ــ ١٠) ولكن باختلاف . ففى متى جاء قائد المائة بنفسه .. **أما فى لوقا فقائد المائة لم يحضر وإنما أرسل إليه شيوخ اليهود ...**

وقد طلب شيوخ اليهود منه أن يحضر ليشفى الغلام فاستجاب لرجائهم .. وذهب .. ولكن قائد المائة أرسل إليه وهو قريب من البيت أنه ليس أهلا أن يدخل المسيح تحت سقف بيته ... الخ .

وهذه معجزة ذات سياق عجيب إذ إن الرجل رفض أن يدخل المسيح تحت سقفه إذ لا يمكن أن يكون نبى بلا سلطان .. لأنه رفض ضمنيا أن يكون النبى أقل شأنا منه كقائد بسيط .

لا بد أن يكون النبى صاحب سلطان ...

ونلاحظ :

* أن الرواية تحكى عن قائد مائة وليس عن قائد عام أو إمبراطور .. وهذا يشير إلى أن المسيح ما هو إلا نبى أقرب إلى أنه « قائد مائة » أى قائد لجماعة من البشر إلى الإيمان .. ولو كان إلها لما قورن بقائد المائة .

* قال قائد المائة « لأنى أنا أيضا إنسان تحت سلطان لى جند تحت يدى »

والعبارة تناظر بين قائد المائة والمسيح من حيث إنه « إنسان تحت سلطان » أى تحت قانون أكبر منه يستمد منه قوته .. وكذلك فالمسيح عليه السلام إنسان تحت سلطان الله تعالى كى يعمل مشيئته سبحانه وتعالى .

* يتعجب المسيح عليه السلام من هذا الإيمان الذى عرف صاحبه حقيقة الرسالة .. فالمسيح لم ير إيمانا مثل هذا فى بنى إسرائيل .

* ويتحدث المسيح عن هؤلاء الذين سيأتون من المشارق والمغارب يتكئون فى الملكوت مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. أما أبناء الملكوت .. شعب الله المختار فسيطرحون فى الظلمات حيث البكاء ..

وإذا صحت نسبة هذا الكلام إلى المسيح عليه السلام فإنه يتحدث عن المسلمين مع محمد ﷺ الذين انتشروا فى المشارق والمغارب .. وسنشير إلى ذلك عند حديثنا عن معجزة بشارة المسيح بمحمد ﷺ .

ولا يفوتنا أن نشير إلى الاختلاف الجوهرى بين رواية متى ولوقا .. فالأولى تقول إن قائد المائة ذهب بنفسه إلى المسيح . أما الثانية فزعمت أن قائد المائة أرسل إلى المسيح .. ومفاد هذا الخلاف أن المدونين لم يحضروا الواقعة وإنما سمعوا بها .. فدونها كل منهما حسبما وصل إليه . وهذا يجدد التفكير فى أمر الوحى الذى زعموا أنه أساس كتابة الأناجيل وصدق الله العظيم ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾(١) وهذا فى حق القرآن الذى تناسقت آياته وترابطت(٢)

فالوحى لا يمكن أن يجهل مثل هذا الأمر البسيط .. هل ذهب قائد المائة بنفسه أو أنه أرسل غيره .. ؟

* * *

---

(١) النساء : ٨٢

(٢) نفت الآية عن القرآن الكريم وجود الاختلاف الكثير وتركت الاختلاف القليل لأن هذا القليل نابع من اختلاف الأفهام فى القرآن ولكنه اختلاف لا يخل بالنسق القرآنى والحمد لله على نعمة الإيمان .

معجزات في الطبيعة

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فإننا نهلك . فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان . ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم . فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا فإن الرياح والبحر جميعا تطيعه » . (مت ٨ : ٢٣ ــ ٢٧)[١]

دائما .. الإيـمان ..

يدعو المسيح أتباعه إلى الإيمان فى كل موقف يمر بهم .. فهم يهتمون بأنفسهم .. ويتجنبون كل ما يهددهم فى صحتهم وأبدانهم وحياتهم كلها ..

فهل الآخرة أقل شأنا من الدنيا ؟

إن الآخرة هى الخلود .. فيها النعيم الخالد .. وفيها العذاب المقيم .. ولا نجاة فى الآخرة إلا بالإيمان . ومع هذا العمل الذى قام به المسيح يأتى فى السياق ما يؤكد بشرية المسيح .. « **فتعجب الناس قائلين أى إنسان هذا ... ؟** » .

وقد بين المسيح عليه السلام لهم أن الإيمان هو مصدر الطمأنينة فى الدنيا والآخرة .

« وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع . وبعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلى ولما صار المساء كان هناك وحده . وأما السفينة فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج لأن الريح كانت مضادة وفى الهزيع الرابع من الليل

---

(١) وجاءت فى مر (٤ : ٣٥ ــ ٤١) وفى لو (٨ : ٢٣ ــ ٢٥)

مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال ومن الخوف صرخوا . فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا أنا هو لا تخافوا .. » مت ١٤ : ٢٣ ــ ٢٨(١)

فى هذه الرواية يصرف المسيح الجموع ويصعد إلى الجبل يصلى .. وقد صعد منفرداً ، وهذه دلالة واضحة ، ويجب أن تكون قاطعة عند من يدينون بالإنجيل الذى بين أيدينا ، فهى تدل على أن المسيح عبد الله ورسوله ، إذ ما باله يصلى وهو إله أو ابن إله ؟ هل يصلى الإله لنفسه ؟ فإن قيل إنه يصلى لِيُعَلِّمَ الناس الصلاة أو يكون قدوة فما باله يصلى منفرداً .. والقدوة لا تكون إلا بين الجماعة ؟ ..

ثم ما حقيقة هذه الصلاة التى كان يصليها المسيح عليه السلام ؟ هل هى من جنس الصلاة **التى يقوم بها المنتسبون إليه اليوم فى الكنائس ؟ هل كان يسجد للصليب ويمجده ويعظمه** ؟ أم كان يطلق البخور ويوقد الشموع ويقدم القرابين

---

(١) جاءت فى مر (٦ : ٤٧ ــ ٥٦) ، وفي يو (٦ : ١٦ ــ ٣١) ، وانفرد متى بزعم أن بطرس طلب أن يمشى على الماء .. فسمح له المسيح .. ولكنه خاف فأوشك على الغرق .. فقال له المسيح لماذا شككت بعد أن قال له : يارب نجنى .... وينتهى هذا الانفراد بزعم أن من فى السفينة سجدوا وقالوا إنه ابن الله .

ولم نثبت هذا الانفراد لما فيه من تنافر .. ونهاية متكلفة .. وكأن الكاتب ساق مثل هذا الكلام ليتوجه بالزعم أن المسيح ابن الله .. ولا نستبعد أن يكون هذا الكلام قد زاده شخص آخر غير كاتب الإنجيل .. ومثل هذا الاحتمال وارد لغموض أحوال كتابة الأناجيل وجهل الرواة وأحوالهم وجهل أحوال الناقلين عنهم .. إلخ .

أضف إلى ذلك عدم ذكر القصة أصلا فى لوقا .. مما ينقض الإجماع عليها شأنها فى ذلك شأن غيرها من القصص مما يؤكد أن الوحى برىء من كتابة هذه الأقوال .. فالوحى لا يختلف ولا يقصر ولا يحابى شخصا على آخر . والله أعلم .

أما قولنا إن فيها تنافراً فآخرها لا يتسق مع أولها .. فقد قام المسيح على الجبل يصلى .. فهو عبد من عبيد الله وليس ابنا له كما زعمت نهاية الرواية .

نسأل الله العافية .

ويأكل الفطير الذى يتحول إلى لحم ودم ؟ لم يكن المسيح يفعل ذلك قطعا .. فكيف كان يصلى .. وما مدى اتفاق صلاة المنتسبين إليه اليوم مع صلاته عليه السلام ؟ .

وفى آخر الليل .. فى الربع الأخير .. يصل المسيح عليه السلام إلى السفينة حسب الرواية . ماشيا على الماء ، وقد فزع أصحابه حين رأوه فشجعهم وبيّن لهم أنه صاحبهم .. وهكذا يثبت المسيح عليه السلام فى كل روايات المعجزات ما يدل على بشريته .. فلو كان إلها حقا كما يزعمون أو ابن إله لأنزل عليهم السكينة ، وما جعلهم يفزعون لمرآه .. لأن رؤية الله سكينة للمؤمنين .. وهم قد رأوا المسيح ففزعوا فهو ليس بإله وليس ابنا للإله تعالى الله عما يشركون ..

لقد لجأ المسيح عليه السلام إلى طمأنتهم وتشجيعهم شأن البشر مع البشر .

آية من السماء

« وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو لأن السماء محمرة . وفى الصباح اليوم شتاء لأن السماء محمرة بعبوسة . يامراءون تعرفون أن تميزوا وجه السماء . وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون . جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى . ثم تركهم ومضى .. »

(مت ١٦ : ١ — ٤)

أراد المسيح عليه السلام — حسب هذه الرواية — أن يوضح للفريسيين والصدوقيين أن الآيات الكونية لها دلالاتها الخفية فالإنسان الخبير ينظر إلى السماء فإذا وجدها محمرة قال إن الجو سيكون صحواً .. أما فى الصباح فإذا كانت محمرّة بعبوسة فإنه يقول اليوم شتاء ...

وإذا كان الإنسان يستخدم خبرته وعقله فى تمييز الأشياء حوله فما أجدره بأن يستخدم هذا العقل من أجل الوصول إلى الإيمان الحقيقى .

إن نزول آية من السماء لا يضمن الإيمان لأحد ما دامت الآيات التى شاهدوها على يدى المسيح لم تقدم ولم تؤخر ..

إن أمر الآيات خطير وعظيم فما بالهم لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وقد أرسل لهم رسوله عيسى بن مريم وأجرى على يديه آيات كباراً ؟ .

هل السماء تحت تصرفهم .. وهل القانون الإلهى رهن إشارتهم ..؟

ولهذا غضب المسيح عليه السلام منهم عندما سألوه أن يريهم آية من السماء ولو كان إلهاً — كما زعم المتسبون إليه — لكانت آية السماء رهن إشارته ، ولكن المسيح عليه السلام ردهم إلى الأرض وإلى إمكانياته المحدودة كما ردهم إلى حقيقة أنفسهم .

فهم جيل شرير فاسق .. وما دام أمرهم كذلك فلا تجدى معهم الآيات نفعا ولا تعطى لهم آية .. إلا آية يونان النبى[١] .

جاء فى «مت ١٢ : ٣٨ — ٤٥ » :

● حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : « يا معلم نريد أن نرى منك آية ، **فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان ، وهوذا أعظم من يونان ههنا . ملكة التَّيمَنِ ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان ، وهوذا أعظم من سليمان ههنا إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء . يطلب راحة ولا يجد . ثم يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه . فيأتى ويجده فارغا مكنوسا مُزَيَّناً** » .

هذه الرواية انفرد بها متى إلى جانب الرواية السابقة وفى كلتا الروايتين يُتَّهم

---

(١) سيأتى الحديث عنها فى الفقرة القادمة .

الجيل بأنه شرير وفاسق .. ويوضح لهم أنه لا تعطى له الآية المطلوبة .. إلا أن هذه الرواية تشرح العلاقة بين آية يونان النبى ، وبقاء المسيح كما يزعمون فى قبره ثلاثة أيام ..

فقد بقى (يونس) عليه السلام فى بطن الحوت مدة تحددها الرواية بثلاثة أيام[1] وتطلق عليه اسم (يونان) .

وقد شاءت إرادة الله أن تُساق الملابسات الدامغة فى كل رواية ، لتثبت أن عيسى عبد الله ورسوله مهما كانت أهداف رواتها ، وأسلوبهم ..

وقد رأينا فى الروايات السابقة هذه الدلائل واضحة حتى إننا نجزم بأن كل تعبير صريح فى الشرك أو مناف للوحدانية لا يمكن أن يعبر عن الرسالة الإلهية الحقة التى حملها المسيح عيسى بن مريم . وفى هذه الرواية ـــ وسابقتها فى موضوعها ـــ نلحظ ما يأتى :

١ ـــ أن المسيح عليه السلام لم يستطع أن يأتى بآية من السماء كما طلب اليهود .

ولعل السر فى ذلك أن كل الآيات التى صنعها لم يأت بها من عند نفسه وإنما جاءته بإذن الله وتأييده ..

٢ ـــ أن المسيح عليه السلام اتهم الجيل بأنه فاسق شرير .. وأنه لا تُعطَى له آية ..

٣ ـــ جاء فى ثنايا الرواية (مت : ١٢) ما يهدم دعوى الصلب للخلاص المزعوم .. إذ تحدثت الرواية عن « رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان » .

---

(١) وردت الرواية فى القرآن الكريم عن يونس عليه السلام بأنه خرج مغاضبا .. وجرت قرعة فى السفينة وخرج السهم عليه .. فألقى فى البحر فالتقمه الحوت .. وكان التسبيح هو السبب فى نجاته قال تعالى ﴿ **فَلولَا أنه كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فى بَطْنِه إلى يَومِ يُبعثُونَ** ﴾ الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤ .

فالتوبة .. تمت بلا صلب .. بل بمجرد مناداة الرسول فيهم .. واستجابتهم له .. وبهذا يصبح القول بزعم الصلب لا مبرر له وكذلك « ملكة اليمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان ..»

وقد تكرر القول « سيقومون .. مع هذا الجيل ، ستقوم مع هذا الجيل .. » إذن فلقد كان المسيح عليه السلام ــ حسب هذه الرواية ــ يعلمهم أنهم جيل كغيره من الأجيال جاءته رسالة كسابقتها من الرسالات ..

٤ ــ بقيت المشابهة بين بقاء « يونان » فى بطن الحوت وبقاء المسيح حسب زعمهم فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ..

ولو افترضنا جدلا صحة هذا الزعم المرفوض فإن دلالته لا يمكن أن تثبت ألوهية المسيح عليه السلام .. بل تثبت أنه عبد رسول ، ولا نتصور إلها يدعى لنفسه معجزة سبقه بها نبى من البشر .. فما الفضل إذن ؟

لقد بقى (يونان) النبى فى بطن الحوت أياما ، دون أن يتلف أو يموت .. فهل يمكن أن نزعم أن (يونان) أو يونس كما يسميه القرآن ليس نبيا وأنه إله أو ابن للإله ؟

لو أثبتنا المعجزة للنبى .. وأثبتنا شبهها للإله فمعنى ذلك أن النبى أعظم فضلا من الإله .. والعياذ بالله من ذلك ..

فإذا أضفنا لذلك أن صلب المسيح أحاطه الغموض ابتداء من محاولات القبض عليه حتى الزعم بقيامته وظهوره أدركنا كيف كانت حقيقة المسيح عليه السلام .. وأنه عبد الله ورسوله .. لا يزيد على ذلك قيد أنملة وله وافر الشرف بهذا .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

تحويل المـاء خمـراً

● **« ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . قال لها يسوع ما لى ولك يا امرأة . لم تأت ساعتى بعد . قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء . فملئوها إلى فوق . ثم قال لهم استقوا الآن وقدّموا إلى رئيس المتكأ فقدّموا .. »** (يو ٢ : ١ ــ ١١) .

وقد ذكرت هذه المعجزة فى يوحنا دون غيره إما جهلا من الآخرين بها ، وإما إنكارا لصلته بمثل هذا النوع من المعجزات .. فلو علمها الآخرون (متى ــ لوقا ــ مرقس) لكتبوها .. ولو قيل إنهم عرفوها ورفضوا تدوينها لكان معنى ذلك عدم تصديقهم بها .

ومثل هذه المعجزة لا تضارع إعجاز الميلاد وحديث المسيح فى المهد ، ودفاعه عن أمه وبيان حقيقته .

والعجيب أن تدوّن هذه الحالة فى أحد الأناجيل فى حين تتغاضى كل الأناجيل عن أحداث الميلاد ..

والذى يلفت النظر فى هذه المعجزة تلك الإجابة الفجة الغليظة من المسيح لأمه دون دَاعٍ ..

« **ما لى ولك يا امرأة ..**» أهذه إجابة المدعو مخلصا لأقرب الناس إليه ؟ إن روايات الأناجيل عن المسيح توضح أنه لم يجرؤ أن يقول هذا القول لمطارديه ، وجلاديه .. أيقولها لأمه وهو فى حفل عرس ؟

لم يسبق للمسيح أن وجه أمه توجيها وعارضته فيه فهل أراد أن يخلع عن عنقه ربقة التبعية ؟ إذا صح ذلك فأين الرفق فى هذا الحفل البهيج .. أيجوز أن يسىء المسيح إلى أمه وهى التى حملته وأرضعته ... ؟

كما يلفت النظر أيضا قول المسيح لأمه « **لم تأت ساعتى بعد** » فأى ساعة يقصد .. ؟ هل هى ساعة المعجزات ؟ أم ساعة البدء فى الرسالة أم ساعة

النهاية ؟ وما علاقة هذا القول بما قبله ؟

والمفهوم بعد أن انتهر المسيح أمه وزجرها أنه لا شأن له بالخمر وشرب المجالس .. إلا أنه سارع بصنع الخمر للشاربين .. حيث أمر الخدام أن يملئوا الأجران ماء ... ثم أمرهم أن يسقوا الناس ورئيس المتكأ .

عندما نتذكر ذلك الموقف العظيم الذى حكاه القرآن عن المسيح عيسى بن مريم عندما واجه قومه بالمعجزة فقال لهم **﴿ إِنِّى عبدُ اللهِ آتانىَ الكِتابَ .. ﴾**[1] كان فيما قاله لهم **﴿ وَبرًّا بِوالدتِي ولَمْ يَجعلْنى جَبَّاراً شَقِيًّا ﴾**[2] نتذكر ذلك الموقف فنقول ما كان ابن مريم عاقًّا لها بل كان مثال البر بها والحنان عليها .. ونتيقن أنه ما قال لها تلك المقولة المنكرة « ما لى ولك يا امرأة » ولم ينتهرها ولو فعل لكانت سنة خبيثة تجيز لكل إنسان أن ينهر أمه ويلعنها .. نعوذ بالله من الضلال .

● **« فلما سمع يسوع انصرف من هناك فى سفينة إلى موضع خلاء منفردا فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وشفى مرضاهم . ولما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين : الموضع خلاء والوقت قد مضى . اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما . فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا له ليس عندنا هاهنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان . فقال ائتونى بها إلى هنا . فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع . فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكِسَرِ اثنتى عشرة قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد »** مت (١٤ : ١٣ ٢٣)[3]

---

(١) مريم : ٣٠ .

(٢) مريم : ٣٢ .

(٣) وردت أيضا هذه الرواية فى مر (٦ : ٣٠ ــ ٦٤) ، وفى لو (٩ : ١ ــ ١٧) ، وفى يو (٦ : ١ ــ ١٥) .

وتجمع الروايات على أن المسيح عليه السلام عندما بدأ المعجزة (نظر إلى السماء وبارك) ولا شك أن فى هذا دلالة قوية على أن المسيح لم يكن يستمد العون من نفسه ، بل من ربه الذى أرسله . وبعض الروايات فى الأناجيل تؤكد ذلك إذ تأتى فى نهاية رواية متى أنه صعد بعد ذلك إلى الجبل ليصلى منفردا وكذا فى رواية مرقس ، وفى هذا تأكيد كما قلنا على بشرية عيسى عليه السلام وعبوديته لله تعالى ..

وفى نهاية رواية يوحنا نقرأ هذه الفقرة « **فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم** » .

فلو كان المسيح إلها أو ابن إله كما زعموا لكان للمعجزة شأن آخر .. ولصرحت الأناجيل بذلك .. وهل من فرصة أنسب لتأكيد زعم الألوهية من هذه الفرصة ؟ ولكنا نجد دائما فى المعجزات ما يؤكد نسبتها لله تعالى .. ويزيل شبهة الشرك .

جاء فى (مر ٨ : ٤ — ٩)

« **من أين يستطيع أحد أن يشبع هؤلاء خبزا هنا فى البرية فسألهم كم عندكم من الخبز فقالوا سبعة . فأمر الجمع أن يتكئوا على الأرض وأخذ السبع خبزات وشكر وكسر وأعطى تلاميذه ليقدموا فقدموا إلى الجمع . وكان معهم قليل من صغار السمك فبارك وقال أن يقدموا هذه أيضا . فأكلوا . وشبعوا ثم رفعوا فضلات الكسر سبعة سلال وكان الآكلون نحو أربعة آلاف ثم صرفهم** »

وتختلف هذه القصة عن سابقتها فى عدد الذين أكلوا .. وعدد الأرغفة والسمك ... وعدد ما بقى من كسر الخبز إلا أنهما تتفقان فى :

* اتجاه المسيح إلى السماء التماسا للبركة .. والشكر ... والمغزى واضح فالمسيح عليه السلام لم يفعل شيئا من عند نفسه بل فعل كل ما فعل بإذن الله تعالى وتوفيقه ..

● « **وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع . فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا . لأنه لم**

يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد . » (مر ١١ : ١٣ ــ ١٤)

وفى (مت ٢١ : ١٩ ــ ٢١) « **فيبست التينة فى الحال ــ فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال .. »** .

هذه الرواية توضح شخصية المسيح البشرية بلا جدال :

- فهو قد أحس بالجوع .. علما بأنه خارج من بيت عنيا ... ولعلهم لم يقدموا له ما يأكله ..
- امتلأ المسيح أملا فى أن يجد فى الشجرة ما يأكله ولكنه لما جاء لم يجد إلا ورقا ...
- كان المسيح عليه السلام يجهل أن الوقت ليس وقت تين ..
- كانت النتيجة أن المسيح دعا عليها بقوله « لا يأكل أحد منك ثمراً بعد .. » فيبست التينة ..
- هذا القول أو الدعاء من المسيح عليه السلام لو صح لكان أقوى دليل على بشريته إذ إن الواحد منا .. يَصُبُّ لعناته على الشيء الذى لا يجد فيه نفعا أو لا يسعفه بما لا يريد ..

ألا ترى إلى سائق السيارة حين تتعطل منه وهو ذاهب إلى حاجته .. فإنه ينزل منها ويضرب عليها بيده ويدعو عليها .. أو يطلب سيارة أجرة وهو يقول « إن المكسورة تعطلت .. » أو ما إلى ذلك .. هذا كان شأن المسيح من التينة .

والعجيب أنه لو كان إلها أو ابنا لله وفعل ما فعل . لكان من أظلم الظالمين ، فما شأن التينة والوقت ليس وقت تين .. ؟ وما باله يعاقبها .. وهو خالقها على زعمهم ويعلم أنها لا تثمر إلا بموعد .. ؟

بل وما باله ــ لو صح زعمهم بألوهيته ــ لم يأمرها بأن تخرج الثمر حالا ، وهذا يكون أوقع فى الأثر ويكون أبعد عن الاتهام بالظلم ...

وكيف يطمئن الناس إلى إله ظالم ؟

نسأل الله العفو والعافية وسبحان الله عما يصفون .

● **« ولما جاء تلاميذه إلى العبر نسوا أن يأخذوا خبزا . وقال لهم يسوع انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين . ففكروا فى أنفسهم قائلين . إننا لم نأخذ خبزا . فعلم يسوع وقال لهم لماذا تفكرون فى أنفسكم ياقليلى الإيمان أنكم لم تأخذوا خبزا . أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف وكم قُفَّةً أخذتم ولا سبع خبزات الأربعة الآلاف وكم سَلًّا أخذتم كيف لا تفهمون أنى ليس عن الخبز قلت لكم أن يتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين . حينئذ فهموا أنه لم يقل أن تتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين » . (مت ١٦ : ٥ — ١٢)**[١]

يشير المسيح عليه السلام حسب هذه الرواية إلى أن المعجزات المادية كانت من أجل الإيمان بالله وحده وقد منحهم الله على يديه خبزا كثيرا وسمكا ... وبهذا نجد أن الماديات لا تهم فى شيء ..

وقد حذر المسيح من خمير الفريسيين والصدوقيين أى من أفكارهم ولهذا نراهم قد فهموا .. وجاء الفهم متأخرا ...

ولعل فى هذا إشارة إلى ما يدبره اليهود وغيرهم للنيل من رسالة المسيح وطمس أفكاره وتبديلها .. ولعله من باب أولى يحذرهم أن ينساقوا وراء التعاليم الكاذبة والدعاوى الخاطئة التى توالت على الفكر المسيحى بعد المسيح وظلت تتكاثر إلى أن أقرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م . ولقد رأينا أشياء تزاد بعد المسيح عليه السلام ما أقرها المسيح .. ولو كانت ضرورية لأعلنها المسيح لهم بنفسه .

مثال ذلك .. مجيء المسيح أو ظهوره لهم ونفخه بينهم ، وإرساله لهم إلى الناس .. ولو صح ذلك لنفخ فيهم وهو بينهم لا بعد ظهوره لهم ..

وقد رأينا أن المسيح قد حذرهم من أنبياء كذبة وجعل معيار الكذب .. الثمار

---

(١) جاءت فى مر (٨ : ١٤ — ٢١) .

الكاذبة .... كما جاء فى الإصحاح السابع من إنجيل متى « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة .. من ثمارهم تعرفونهم » .

ولو صحت مثل هذه الرواية وضُمت إلى رواية التحذير من خمير الفريسيين والصدوقيين ، لانطبقت تماما على بولس :

* فهو من اليهود .. وكان هو صاحب التعاليم .. أو صاحب الخمير من اليهود .. ولم نَرَ يهوديا قدم خميرا للنصارى كما فعل بولس .. « وكان اسمه شاول » .

* يأتونكم بثياب الحملان .. وقد فعل هذا بولس حين أقبل على المسيحيين فى ثياب الوادع التائب ..

* ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة : تلك حقيقة بولس فقد كان ذئبا خاطفا يطارد المؤمنين بالمسيح عليه السلام ويقتلهم .. وبعد ذلك فكر فى قتلهم عن طريق الخمير الذى حذر منه المسيح عليه السلام[1] .

* * *

---

(١) جاء فى الترغيب والترهيب للمنذرى « فى باب الكبْر » رواية حديث يوضح حقيقة بولس توضيحا إلهياً .. فقد روى أن رسول الله ﷺ قال « إن فى النار واديا يقال له بولس ... » وهذا الوادى للمتكبرين . راجع نص الحديث ..

معجزات طبية عامة

● « ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه » .

(مر ١ : ٣٢ ــ ٣٤)

وهذه الرواية ــ وهناك مثلها فى الأناجيل ــ تدل على شهرة المسيح عليه السلام بين الناس ..

فكم من رواية تقول : خرج إليه جمع غفير ، وجلس الناس على الربوات ، ليستمعوا إلى كلامه ... ورغم ذلك فإن قلة من الناس آمنت بالمسيح عليه السلام .

بل عندما ذهبوا للقبض عليه احتاج رؤساء الهيكل إلى دليل هو (يهوذا الأسخريوطى) .. فكيف يكون المسيح بهذه الشهرة ويجهلون أمره ؟ .

لو كان المسيح إلها ــ كما يزعمون ــ لما اقتصرت إمكانياته على مجرد الشفاء من الأسقام والأمراض فهذه وسائل إثبات الرسالة لا وسائل تقرير الألوهية ..

ما معنى أن ينزل إله إلى الأرض ؟

هل يتركها تعج بالفساد والكفر ؟

وإذا أراد خلاص الناس فهل يُخَلِّصُ جماعة دون جماعة ؟

فماذا إذن بينه وبين الرسل من فرق ؟

« وكان يُعَلِّمُ فى أحد المجامع فى السبت . وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة . فلما رآها يسوع دعاها وقال لها يا امرأة إنك محلولة من ضعفك . ووضع عليها يديه ففى

الحال استقامت ومجدت الله . فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ فى السبت . وقال للجمع هى ستة أيام ينبغى فيها العمل . ففى هذه ائتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت . فأجابه الرب وقال يا مرائى ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه . وهذه وهى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغى أن تُحلّ من هذا الرباط فى يوم السبت . » (لو ١٣ : ١٠ ــ ١٧)

وهذه الرواية انفرد بها لوقا ؛ ويبدو أنها كانت معجزة عابرة وإلا لَدوَّنَهَا كُتَّابُ الأناجيل . كما يبدو أن استخدام كلمة الرب ، لا تعنى أكثر من صاحب الشيء ، فلو كان المسيح رَبّاً بمعنى الربوبية لكان له شأن آخر مع معارضيه والكافرين به .

وقد استخدمت العبارة قياسا معقولاً لتوضح أن الحرفية غير مقبولة فى أمور الدين فإذا كان العمل محرما يوم السبت فلا يعنى ذلك أن يجلس اليهود كالحجارة لا يأكلون ولا يشربون ولا يقضون حاجاتهم ، ولا يرعون بهائمهم .. والتداوى من جنس ذلك .

ونلاحظ أن المسيح ــ حسب هذه الرواية ــ قد جعل الشيطان هو سبب المرض .. وإذا صح هذا التعليل للمرض وإذا صحت الرواية عن المسيح عليه السلام بذلك فمغزاه واضح .

فالمسيح حريص كل الحرص على أن ينبه الناس إلى الشيطان وعداوته للإنسان فجعل منه سببا للمرض لينبه الناس شأنه شأن أى رسول إلى سبب الهلاك فى الدنيا والآخرة وهو الشيطان .

● **« ولما اجتاز يسوع فى السفينة أيضا إلى العبر اجتمع إليه جمع كثير وكان عند البحر . وإذا واحد من رؤساء الجمع اسمه يايرس جاء ولما رآه خَرَّ عند قدميه . وطلب إليه كثيرا قائلا : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة ليتك تأتى وتضع يدك عليها لِتُشْفَى فتحيا ..**

● **« فجاء إلى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا . يبكون ويولولون كثيرا**

فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون لم تمت الصبية لكنها نائمة . فضحكوا عليه أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها طليثا قومى .. الذى تفسيره يا صبية لك أقول قومى . وللوقت قامت الصبية ومشت .. »

(مر ٥ : ٢١ — ٤٣)[1]

وفى هذه الرواية نجد المسيح عليه السلام يبين لهم أن الصبية لم تَمُتْ ولكنها نائمة .

وضحك عليه الجمع .. ربما سخرية .. أو استخفافا أو غير ذلك ولما أراد أن يؤدى عمله .. أخرج الجميع .. ولعله قد علم أن لا فائدة من المعجزة إلا للمتصلين بها وهم الأب والأم والذين كانوا مع المسيح ... فهؤلاء وحدهم الذين تعنيهم المعجزة .. والذين توقع أن تُثَبِّتَهُمْ المعجزة على إيمانهم بالله وبرسوله أو تجعلهم يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله ... أما الآخرون فهم لا يؤمنون به ... وهذا ما حدا به إلى إخراجهم .

وهذه الرواية قد جاء فيها نص الكلمة التى روى أن المسيح قالها وهى (طليثا قومى) وجاء تفسيرها « يا صبية أقول قومى » وهذا ما لا نخوض فيه بنفى ولا إثبات ... فالله أعلم ...

● « بينما هو ذاهب إلى ابنة يايرس ... »

« إذا امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه . لأنها قالت فى نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت . فالتفت يسوع وأبصرها فقال ثقى يا ابنة . إيمانك قد شفاك فشفيت المرأة من تلك الساعة » (مت ٩ : ٢٠ — ٢٢)[2] .

اكتفينا برواية متى ففيها مغزى القصة .. فقد مست المرأة هدب ثوبه (أى

---

(١) وردت فى مت (٩ : ١٨ — ٢٦) ، وفى لو (٨ : ٤٠ — ٥٦) .

(٢) جاء فى مر (٥ : ٣١ — ٤٣) ، لو (٨ : ٤٠ — ٥٦) .

طرف الثوب) ، فشفيت . وقد أراد المسيح عليه السلام أن يوضح لها أنه ليس صنما يعبد من دون الله ، وليس مجرد مزار لقضاء الحاجات بل إن كل شيء بأمر الله سبحانه وتعالى .. فقال لها « ثقي يا ابنة : إيمانك قد شفاك » .

وهذا توجيه واضح الدلالة بأن المسيح عبد الله ورسوله وقد جرت المعجزات على يديه فقط دون أن يكون له من الأمر شيء ..

* * *

إحياء الموتى

« وفى اليوم التالى ذهب إلى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه ، وجمع كثير . فلما اقترب إلى باب المدينة .. إذا ميت محمول .. ابن وحيد لأمه وهى أرملة ، ومعها جمع كثير من المدينة .. فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى . ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون فقال أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه .. فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه .. »

(لو ٧ : ١١ ــ ١٦)

فى هذه الرواية نجد أن المسيح عليه السلام يحيى ميتا محمولا . وكان ابنا وحيدا لأمه وهى أرملة ..

تقول الرواية « **فلما رآها الرب** » يقصد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ولا يعنى بكلمة الرب أكثر من الصاحب أو المعلم .. وقد جاء تفسير كلمة **الرب** فى أكثر من موضع بأن معناه **المعلم** ..

والمعجزة تحمل إعجازا قويا برسالة المسيح عليه السلام وتدل فى ثناياها على أن المسيح بشر رسول . فقد مجدوا الله قائلين « **قد قام فينا نبى عظيم** » وهكذا نرى دائما لمحات باقية تعلن الحقيقة للعيان .

جاء فى (يوحنا ١١ : ١ ــ ٤٦) حول إقامة لعاذر أن لعاذر شقيق مريم التى دهنت الرب بطيب . ومسحت رجليه بشعرها . وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر « **فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر .. وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما .. فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت فقالت مرثا ليسوع : يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخى . لكنى الآن أيضا أعلم أن**

كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه ...

فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب . وقال أين وضعتموه ؟ قالوا له يا سيد تعال وانظر . بكى يسوع .. فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت . فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر ... فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هَلُمَّ خارجاً فخرج الميت » أ . هـ بتصرف .

يلاحظ على هذه الرواية :

- انفرد بها يوحنا رغم أهميتها .
- انفرد يوحنا كذلك بمقدمة إنجيله التى زعمت أن الكلمة تجسدت وكانت عند الله .
- جاء فى سياق الرواية تلقينات غريبة عن السياق كقول مرثا ... عن المسيح أنها أمنت به ابنا لله .. الخ .

ومثل هذه العبارات مدخولة متناقضة مع ما ورد فى ثنايا القصة فقد ورد فيها قول مرثا :

- إن كل ما تطلب من الله يعطيك إياه ...

وهذا دليل واضح على أن المسيح عليه السلام عبد الله ورسوله وقد آمن من حوله بذلك .. والطالب فى موقف الضعف والحاجة ، ولو كان إلها أو ابنا لله لكان الأمر خلاف ذلك .

- وورد أيضا أن المسيح عليه السلام حينما رأى البكاء من الناس « انزعج بالروح واضطرب » وهذا ليس من صفات الآلهة .. بل هو من صفات البشر .. فالمسيح عليه السلام عبد خشى العجز فى نفسه .. فانزعج لما رآه

واضطرب خوف الفشل أمام هذه الجموع ..

- عندما قالوا له تعال وانظر بكى يسوع ... وهذا أيضا ليس من خصائص الآلهة القادرين بل هو من خصائص البشر العاجزين .. وَلِمَ البكاء وهو فى سبيل إعادة الحياة إليه ؟ فالمسيح الرسول يدرك أهوال الآخرة وإشفاقه منها وهو أعلم الناس بالحقيقة فبكى .. كما أنه يعلم أنه حين يستجيب الله إليه ويعيد الحياة إلى لعازر فإن الموت لن يتركه بل سيموت لعازر وكل الناس .. فالأمر إذن أمر وقتى لإقناع الناس بالإيمان بالله الواحد الذى لا شريك له فمنه وحده الحياة ..
- ينزعج المسيح للمرة الثالثة بعدما اضطرب وبكى وذلك حين يستمع لقول القائلين : « ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت .. » فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر .. وهكذا نرى حالة الاضطراب الشديدة التى ترسمها هذه الرواية فلا نملك إلا أن نقول كما سبق أن كررنا .. إن الله الواحد ... أرسل عبده ورسوله المسيح عيسى بن مريم وأيده بمعجزات .. وقد كان المسيح حريصا على إيمان الناس بربه الواحد .. ولهذا كان حريصا على :
- إخفاء معجزاته قدر الإمكان فليست هى الهدف .
- التضرع إلى الله قبل المعجزة حتى لا يخزيه أمام هذه الجموع ... وذلك لعلمه أن الآيات بيد الله وحده .. هو وحده يجريها وهو وحده يحجبها متى شاء .

نستمع بعد ذلك إلى تسبيحات المسيح عليه السلام حسب هذه الرواية التى بين أيدينا ، ويبدو أن الوحى قد ثَبَّتَ المسيح وعرفه أن ربه قد استجاب لتضرعه فسكنت نفسه ورفع بصره إلى السماء وقال :

« أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى .. »

فانظر هداك الله إلى هذا الإحساس بالفضل من الله تعالى .. إنه شكر من العبد على الإحسان إليه من الله المنعم المتفضل ..

ثم انظر إلى هذا الإيمان من المسيح عليه السلام بربه « **وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي** » .. فهو رسول يعلم أن الله يسمع له .. فما غاب الله عنه لحظة ، ولا نسيه ... كيف وقد قال الله لموسى وأخيه هارون حين أرسلهما إلى فرعون ﴿ **إنني معكما أسمعُ وأرى ..** ﴾[1] .

وتأتي نهاية المطاف ... يصل السهم إلى هدفه حين يقول المسيح عليه السلام حسب هذه الرواية « ... **ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني** » .

أولا : المعجزة لأجل الجمع الواقف ...

ثانيا : أن المعجزة دليل رسالة لا دليل ألوهية .. والحمد لله رب العالمين .

---

(١) طه : ٤٦ .

ظهور المسيح ونزوله في القرآن والإنجيل

تتحدث الأناجيل عن ظهور المسيح عليه السلام عقب قيامته كما هى عقيدة القوم .. وسنسوق بعض النصوص عن ظهور المسيح عليه السلام ...

« وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية . وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين »

أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . (مر ١٦ : ١٢ — ١٤)

وتعطينا هذه الرواية انطباعا عن ظهور المسيح عليه السلام لتلاميذه ... يجعل من العسير تصور هذا الظهور كما يريد هؤلاء أن يصوروه ..

* فقد ظهر المسيح بهيئة أخرى لاثنين ...

ولعل هذا كان بداية شائعة الظهور حيث بدأت باثنين .. ثم تطورت بعد ذلك ..

* يظهر المسيح بعد ذلك للأحد عشر ... ويوبخهم على عدم إيمانهم ... وكأنى بالرواية تهدد من لم يصدق ... ولم توضح الرواية تلك الهيئة الأخرى التى ظهر عليها المسيح مما يضفى غموضا على المشهد لا يليق به لو كان صحيحا ... ولو صدقنا توبيخ التلاميذ على عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لكان معنى ذلك الفشل الذريع لرسالة المسيح عليه السلام بين تلاميذه .

أما يوحنا فيحكى القصة بطريقته التى تخالف عُرْفَ الأناجيل الأخرى ومما قاله :

« ولما قال لهم هذا (أى سلام لكم) أراهم يديه وجنبه . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فقال لهم يسوع أيضا سلام لكم . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسِكَتْ . » (يو ٢٠ : ١٩ — ٢٥)

وهذه الرواية كما هو واضح من تصفح الأناجيل انفرد بها يوحنا مما يشكك فى أصلها ..

والرواية تحمل ركنا هاما من أركان المسيحية بعد المسيح .. فهل اعتبر هذا الركن من أهون الأركان وأضعفها .. ؟

إن الرواية تتحدث عن مشهد ـــ لو كان صحيحا ـــ لجندت الأناجيل كلها لذكره والإفصاح عنه ..

فالمسيح ينزل ـــ حسبما تزعم الرواية ـــ ويريهم يديه وجنبه .. ويقول لهم سلام لكم ...

ثم ينفخ ويقول لهم اقبلوا الروح القدس .. الخ فأين هذا فى الأناجيل ؟ .

إنها لم تحتل سوى بضعة أسطر ... هنا ... وغفلت عنها الأناجيل الأخرى فماذا يعنى كل هذا الإهمال لركن هام ... وهو الرسالة للتلاميذ .. كما يقول المنتسبون للمسيح ؟

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تحمل هذه الرواية دلائل بطلانها ...

فقد زعمت الرواية أن المسيح قال للتلاميذ « **من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت** » وهذه العبارة تهدم قضية الصلب التى تعتبر عمود المسيحية فيما بعد المسيح عليه السلام .. كما أنها تهدم فكرة الخطيئة التى جاء المسيح وَصُلِبَ من أجل تحمُّلِهَا عن البشر ، وقد جند بولس معظم رسائله حول هذا المعنى.

والرواية التى بين أيدينا تقول إن من غفرتم خطاياه غفرت ومن أمسكتم خطاياه أمسكت ... فلماذا صلب المسيح إذن فى زعمهم ؟ وكيف يصلب تكفيرا عن الخطيئة ثم ينزل ليقول لهم إن هناك خطايا ، يمكن أن تغفروها لأناس ويمكن أن لا تغفروها لغيرهم ؟ .

هل صلب المسيح لتكفير الخطايا جميعها ؟ أم صلب لتكفير بعضها فقط ؟ ما نوعية الخطايا التى غفرها صلب المسيح ؟ وما الدليل على أنها هى الخطايا التى صلب من أجلها ؟ وما المانع من أن يكون غيرها هو المراد ؟ وإذا صلب المسيح

لتكفير بعض الخطايا دون بعض فما قيمة صلبه فيما يزعمون ؟ ألم يكن يكفى أن ينفخ الروح فى بعض الناس ويكلفون بمغفرة الخطايا والاستعاضة بذلك عن عملية الصلب الدموية الرهيبة ؟ .

بل إن القدرة على مغفرة الخطايا دون حاجة إلى صلب دليل على أن الصلب المزعوم لا أساس له ... بل إن حدوثه ـــ والحال هكذا ـــ دليل على انعدام الحكمة الإلهية ... سبحان الله عما يصفون .

ويتحدث لوقا عن الظهور فيقول :

● « ... **فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم انظروا يدى ورجلىّ إنى أنا هو .... وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ههنا طعام .. فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم** » . (لو ٢٤ : ٣٦ ـــ ٤٣)

عندما رآه التلاميذ اضطربوا ... وظنوا أنهم قد رأوا شيطانا وأراد أن يطمئنهم أنه هو ... فأراهم يديه ورجليه .. الخ وزيادة فى الأمان : طلب منهم طعاما ... وأكل قدامهم .. ويدهش الإنسان لذلك الأمر فما الداعى لأن يأكل أمامهم بعد رحيله .. ؟؟

لقد أراهم يديه ورجليه وتحسسوه فما باله يطلب طعاما ويأكل ؟ وماذا يفيد مثل هذا ؟ .

والحقيقة أن مثل هذا الأمر يشكك فى الرواية من أساسها خصوصا وقد توقفت الرواية عند هذا الحد ... فلا ندرى ماذا حدث بعدها .. وهل جاء ليأمرهم بشىء أو ينهاهم عن غيره ؟

بل إن هذه الرواية تناقض ما جاء به يوحنا .. إذ إن يوحنا كما رأينا فى استعراض روايته وضح أن المسيح جاء ليكلفهم بشىء ما ... هو الرسالة ونفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس .. كما زعمت الرواية .. ونرى لوقا فى روايته هنا يتغاضى عن مسألة النفخ هذه ويهتم بمسألة الطعام وأكل بعض السمك المشوى والشهد .. فهل صارت مسألة الطعام فى عرف لوقا أهم من مسألة تكليف هؤلاء

التلاميذ بالرسالة ؟ ولماذا لم يذكر النفخ والتكليف اللذين زعمتهما رواية يوحنا ؟ .

ولا يقال إن مرات الظهور متعددة فيحتمل أن يكون الأكل فى مرة والنفخ فى مرة أخرى .. إذ إن هذه الروايات فى (مرقص ولوقا ويوحنا) تتحدث عن موقف واحد(١) .

ولا أظن الوحى يمكن أن يختلق مثل هذا الاضطراب فى الرواية . والعجيب أن مسألة أكل السمك المشوى والشهد لم يردَا فى أية رواية أخرى ..

والأعجب من ذلك أن يخفى على المسيح ـــ الذى زعموه إلها من دون الله ـــ أمر الطعام .. ويسأل إن كان عندهم طعام أم لا ؟ ..

نسأل الله العافية ونعوذ به من سوء العاقبة إنه سميع عليم .

تعليق عام على قصة ظهور المسيح

ورد فى قصة ظهور المسيح نقاط تشكك فى حدوثها أو على الأقل تشكك فى أنها لم تحدث بهذه الصورة التى أرادها كتَّاب الأناجيل ..

ومما يدل على عدم دقة هذه الرواية :

* أنه ظهر بهيئة أخرى لاثنين ...(رواية مرقس) ومعنى الهيئة الأخرى أى هيئة غير التى عُرِفَ المسيح عليها مما يدل على أن المسألة كانت تخيلات وأوهاما ..
* لم تحدد نفس الرواية الهيئة التى ظهر عليها للأحد عشر .. مما يؤكد أن الأمر أقرب إلى الأوهام ..
* رأينا أن رواية يوحنا رواية شاذة لم يرد مثيل لها فى غير هذا الإنجيل .. كما أنها تحدثت عن مغفرة الخطايا ، ورأينا كيف أن هذا ينقض حكاية الصلب المزعوم .
* أما لوقا فلم يهتم إلا بأمر السمك المشوى الذى قُدِّم للمسيح عليه السلام كما زعم ..

---

(١) راجع : « اتفاق الأناجيل » ص ١٥١ .

نبوءة المسيح بمحمد ﷺ

كانت رسالة المسيح عليه السلام أقوى دلالة على اقتراب عهد الرسالة المحمدية ... وقد سبق أن رأينا كيف أن ولادة المسيح أحاطتها إرهاصات وسبقتها بشارات ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، ومن هذه البشارات ولادة يحيى عليه السلام وتسوق الأناجيل على لسان يحيى بشارات لها دلالات قوية لأنها تتحدث عن النبى المنتظر محمد ﷺ ...

يقول يوحنا المعمدان « يحيى عليه السلام » حسب رواية الأناجيل « **توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات فإن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة** »

(مت ٣ : ١ ــ ٣)

« **كان يكرز قائلا : يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه . أنا أعمدكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس** » .

(مر ١ : ١ ــ ٨)

« **لكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذى رفشه[١] فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطْفأ** »

(مت ٣ : ١١ ــ ١٢)[٢]

---

(١) الرفش : المعول أو الفأس أو ما شابه ذلك من آلات الزراعة . وقد ترجمت فى الترجمة التفسيرية الحديثة (بالمذرى) بدل (الرفش) والمعنى قريب .

(٢) انظر أيضا : لو (٣ : ١٥ ــ ١٧) .

وهذه الروايات تؤكد أن يحيى عليه السلام يتنبأ باقتراب الرسالة الإسلامية ففى هذه الروايات صفات لا تنطبق إلا على النبى محمد ﷺ ولا تنطبق على المسيح إلا بتكلف شديد وتعسّف . ولنستعرض بعض معالم هذه النبوءة لتكون لنا مرشداً ونحن نبحث عن نبوءات المسيح عليه السلام بأخيه محمد ﷺ :

* تأمل قول المعمدان حسب هذه الرواية : « **صوت صارخ فى البرية** » لتجد أنه أقرب دلالة عن محمد .. فهو الذى صرخ فى « برية فاران »[١] أو صحراء شبه الجزيرة ..

* « **أعدوا طريق الرب .. اصنعوا سبله مستقيمة** » وكأنى به هنا ينادى فى مقدمة ركب الرسالة الإسلامية .

* **يأتى بعدى** : وهذه العبارة تكررت .. والمسيح عليه السلام لم يكن بعد يوحنا المعمدان بل جاء فى حياته وتعمد على يديه ، بل لقد أرسل المعمدان بعض أتباعه كى يستفسروا عن أعمال المسيح .. فقيل لهم « **العمى يبصرون** » فالمسيح لم يأت بعد يحيى .. بل هو معاصر له .. ولا عبرة باستمرار المسيح بعض الوقت عقب مصرع يوحنا .. فهذا لا يثبت البعدية .. فما دامت رسالة المسيح قد بدأت فى حياة يحيى عليه السلام .. فمعنى ذلك المعاصرة ولا شك ..

أما الذى جاء بعده حقا فهو محمد ﷺ .

* ويؤكد النقطة السابقة ذلك الوصف للذى يأتى بعد سيدنا يحيى عليه السلام حيث قال حسب الرواية « .. **من هو أقوى منى** » فهل كان المسيح أقوى من يحيى عليه السلام .. ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نحدد الحالات الآتية :

أ ـــ ظل المسيح مطاردا طوال حياته .

ب ـــ لم يستطع المسيح عليه السلام رغم معجزاته أن يُعَمِّدَ غير ...

---

(١) فاران : جبال بمكة وردت فى العهد القديم بشرى لولد إسماعيل عليه السلام .

الناس .. فهو مثل يحيى عليه السلام فى أن أتباعه كانوا قليلين مطاردين ..

جـ ــ كيف يقال إن المسيح أقوى من يحيى علما بأن المنتسبين إليه يزعمون أن اليهود ظلوا يطلبونه حتى صلبوه كما يعتقدون ؟ فأى مفاضلة بين يحيى والمسيح عليهما السلام والحال هكذا .. ؟

د ــ قد يقال إن المسيح عليه السلام أقوى معنويا من يحيى .. أو أكثر معجزات منه ، وهذا القول مرفوض إذ إن الرواية قد حددت معنى القوة والمراد بها فليست هى القوة المعنوية .. بل هى القوة المادية .. حيث تقول الرواية « **الذى رفشه فى يده** » **فهو قوى قوة ملموسة ولديه الوسائل والإمكانيات** .

هـ ــ وتأكيدا لهذه القوة تستمر الرواية : « **سينقى بيدره** »[1] أى لديه القدرة على أن يجعل بلده نقيا .. إيمانا خالصا لا شائبة للكفر فيه ... وهذا ما لم يفعله المسيح عليه السلام[2] وكل هذه إشارات ودلائل بأن نبوءة يحيى عليه السلام (أو يوحنا كما تسميه الأناجيل) كانت بمحمد ﷺ وقد أفصحت الرواية عن بعض خصائص الرسالة الإسلامية التى لا يشاركها فيها غيرها ..

* وأول هذه الخصائص الجهاد وقد أشارت إليه العبارة بقولها عن الآتى للعالم بعد يحيى عليه السلام « **الذى رفشه بيده** » وهذه إشارة إلى السلاح الذى حملته الأمة الإسلامية دفاعا عن العقيدة الصحيحة ..

ولما كانت الصورة التى اختارتها العبارة يدور إطارها حول المزرعة وأدواتها والمزارع .. فالناس فيها كالمزرعة والنبى كصاحب الزرع .. بيده رفشه .. أى مِعْوَله أو منجله .. يحاول أن يخلص زراعته من كل داء وعيب .

---

(١) البيدر : جرن القمح حيث يجمع فيه أعواد القمح بعد الحصاد ويدرس بالنورج وغيره .

(٢) بل فعله محمد ﷺ على ما سيظهر بعد قليل .

* وثانى هذه الخصائص تخليص القبلة المقدسة والحرم من المشركين نهائياً وهذا ما أشارت إليه الرواية بقولها « **سينقى بيدره** .. » وهذه العبارة تعطى صورة دقيقة لأرض الإسلام وحرمه المقدس فى مكة ..

ولو تخيلنا صورة البيدر [الجرن] الذى كان الفلاحون يدرسون فيه قمحهم بعد الحصاد رأينا كيف يجعل الفلاحون القمح على الأرض دائرة واحدة يدورون عليها (بالنورج) الذى تجره الدواب دورات متتابعة ..

وهذه هى نفسها صورة الطواف حول الكعبة المشرفة ..

ثم تأمل كيف كان النبى ﷺ هو الوحيد بين الأنبياء الذى نقّى بيدره وجمع قمحه إلى المخزن .. يظهر ذلك فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا** ..﴾(١) وقد بعث النبى ﷺ أبا بكر – وفى رواية : عليا – إلى مكة أميرا على الحج عندما نزلت سورة « براءة » وأمره أن ينادى فى الناس « **أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان** » ..

وهكذا تمت تنقية البيدر نهائيا من أى مظهر من مظاهر الشرك وأصبحت الأرض المقدسة خالية من المشركين ..

* ومن دلائل هذه النبوءة أيضا قول يوحنا حسبما روى فيها « **أنا أعمدكم بالماء أما هو فسيعمدكم بروح القدس ونار** »

وقد تعمد المسيح نفسه حسبما تروى الأناجيل على يد يوحنا كما أنه لا زال التعميد بالماء شريعة فى المسيحية إلى الآن وله عيد خاص به فى الكنائس المصرية اسمه عيد الغطاس ، ولا أدرى إن كان هذا العيد عاماً أم خاصا .. المهم أن التعميد بالماء لا زال فى مختلف الكنائس الشرقية والغربية ..

أما رسالة النبى ﷺ فقد طلبت إلى الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يدخل هذا الإيمان ويستقر فى قلوبهم .. وذلك هو التعميد بروح القدس كما أشارت إليه الرواية ..

---

(١) التوبة : ٢٨ .

أما التعميد بالنار فلعله إشارة إلى الجهاد بالنفس والمال ذلك الجهاد الذى يتطهر به المؤمنون ويصيرون فى أرفع الدرجات وأعظمها عند الله تعالى .. وهذا يؤكده قول الرواية « **وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ ..** » وفيه إشارة إلى أثر الجهاد المستمر فى كسر شوكة الكافرين ..

ولعلك أبصرت الآن بعض جوانب النبوءة بمحمد ﷺ فيما روى عن تكريز يحيى أو (يوحنا) . وهذه البشارات نفسها تعد إرهاصا ببعض حقائق رسالة المسيح عليه السلام ففيها استمرار للتبشير بالنبى الأمى محمد ﷺ .. على ما سنرى .. ولسنا بصدد استقصاء النبوءات الواردة بمحمد ﷺ فى الأناجيل فلهذا مجال آخر ..

ولكننا أردنا أن نشير فقط إلى نوع من الإعجاز الرسالى قد يخفى على بعض الناس .

جاء فى (يوحنا إصحاحات ١٤ ــ ١٦ باختصار) :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم ..

والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ... وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون ...

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع .. بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى .. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم .. »

« وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ... ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم .. »

وتأمل أخي القارىء فيما جاء فى سياق هذا النص مما لا ينطبق إلا على النبى محمد ﷺ .

* « **قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون** » ولا شك حسب هذه الرواية أن المقصود إنسان لم يولد بعد .. والتلاميذ كانوا موجودين ..

فمن يكون هذا الذى يتحدث عنه المسيح عليه السلام إلى تلاميذه ؟

لم يأت بعد ذلك إلا محمد ﷺ .. وقد طالبهم المسيح بالإيمان برسالته فهو يطلب إلى كل المنتسبين إليه والتابعين له أن يؤمنوا بالنبى ﷺ ...

* أشار المسيح عليه السلام إلى مصارع تلاميذه حسب رواية يوحنا . ولقد طوردوا فعلا وقتلوا كما تروى الروايات ...

وقد بين لهم سر هذه المطاردات والقتل ... فإن الناس لا زال يشيع فيهم الكفر .. بالله .. وبرسوله المسيح عيسى بن مريم ..

فرغم دعوته ورغم معجزاته فلم يؤمن به إلا القليل ولهذا بشرهم بأن ستأتى ساعة يكون فيها رسالة عامة .

« لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم .. »

والمسيح حسب هذه الرواية يشير إلى التلاميذ عن وحدة الرسالة ...

* تأتى صفات روح الحق ..

يرشدكم إلى جميع الحق .. وهذا بيان لعمومية الرسالة الإسلامية وشموليتها فلم تتناول أى رسالة شئون الحياة تناولا تفصيليا سوى رسالة محمد ﷺ ..

تحدث عن الدنيا وأحوالها .. والآخرة وأهوالها .. والعدالة .. والقضاء ، والرسالة والأداء .. والعبادات ... والفرائض ، وما تصلح به شئون الناس وما تفسد به حياتهم ... وفصل فى البيع والشراء والحروب والمعاهدات .. كل ذلك وغيره كثير ... فهو قد أرشد إلى جميع الحق .. والناظر فى رسائل بولس وغيره .. وفى الأناجيل لا يجد أى تفصيل فى مناحى الحياة والموت ...

* ثم إنه لا يتكلم من نفسه : وصدق الله العظيم حيث قال ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾(١)

* والآتى يخبركم بأمور آتية وما علمنا أحدا أنبأ بأمور آتية بعد المسيح عليه السلام سوى محمد ﷺ ...

* ذاك يمجدنى .. وقد أشاد القرآن الكريم بالمسيح عليه السلام عبدا لله ... ورسولا صادقا ..

* **ذلك يأخذ مما لى ويخبركم :**

أى أنه يحدثهم بحقائق شخصية المسيح عليه السلام فهو ليس ابنا لله ... بل هو بشر رسول خلقه الله بقدرته ...

ولا نريد أن نستطرد فى هذا البحث ونستقصى جوانب النبوءة بمحمد ﷺ فى الأناجيل فلذلك مجال آخر(٢) ...

✿ ✿ ✿

---

(١) النجم : ٣ ــ ٥ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى : « محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » تأليف : محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ، وراجع : « نبوءة محمد فى الكتاب المقدس » د . أحمد حجازى السقا .

معجزات في القرآن غفل عنها كُتّاب الأناجيل

موقف القرآن من معجزات المسيح :

جاء القرآن مؤيدا لرسالات الرسل السابقين وقد عرض للرسالات السابقة بموضوعية .. وبالنسبة للمسيح عليه السلام حدد إطار رسالته كالآتى :

* إنه كلمة من الله وروح منه ..
* إنه جعله كآدم .. خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون ..
* إن عيسى عليه السلام عبد رسول لم يتجاوز حد الرسالة رغم إنعام الله عليه ...

ولقد تحدث القرآن عن معجزات المسيح عليه السلام بإجمال غير مُخِلٍّ بعظمتها الإقناعية ..

وقد ذكر القرآن جملة من المعجزات ، منها ما ورد ذكره فى الإنجيل ، ومنها ما لم يَرِدْ ذكره فيه ..

وهذا الاستقصاء لمعجزات المسيح عليه السلام يدل على موضوعية القرآن الكريم .. فقد كان القرآن صريحا فى رفض الزعم بألوهية المسيح عليه السلام ورفض نسبته إلى الله بغير الرسالة .. ورغم ذلك لم يحجب الحديث عن معجزاته فتلك حقيقة لا تنكر رغم أن البعض قد ضلوا بها وتاهوا ، وزعموا أنه إله أو ابن الله ..

ولو أن القرآن الكريم كان حاجباً لحقيقة لحجب المعجزات التى تدل على تفوق المسيح .. ولكن القرآن كان حريصا على عرض الحقائق كما هى .. ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

وقد رأينا فى سياق المعجزات التى عرضنا لها فى الأناجيل كيف أنها حملت

جميعا ما يثبت بشرية المسيح ورسالته ... وهذا يؤكد اتجاه القرآن الكريم .. ويبين صدقه فى نفى نسب المسيح لله بأى صورة من الصور إلا صورة الرسالة البشرية .. وقد عدد القرآن معجزات المسيح عليه السلام متتابعة فى آياته .. حتى صارت لمحات براقة فى حياة الرسالات ..

المعجزة الأولى : الكلام فى المهد :

● ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فى المَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنى عبدُ اللهِ آتَانِىَ الكِتَابَ وَجعلنى نَبيًّا * وَجعلنى مُبَاركا أينما كُنتُ وأوْصَانى بالصَّلاةِ والزكاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بوالدتى وَلَم يجعلنى جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلىّ يَوم وُلِدْتُ وَيَومَ أموتُ وَيومَ أُبعَثُ حَيًّا .. ﴾(١)

وهذه المعجزة غفل عنها كُتَّابُ الأناجيل فلم يذكروها بشىء .. وقد سبق أن رأينا كثيرًا من روايات شفاء المرضى قد غفلت عنها ثلاثة أناجيل وذكرها إنجيل واحد رغم أهميتها .. وهذا يدلنا على أن ترك الكثير من الروايات ممكن .. رغم شهرتها .. بل إننا وجدنا أن الأناجيل تغفل من حياة المسيح ثمانية عشر عاما كاملة ، وكأنها سقطت من حساب الزمن .. فلا تذكر عنه شيئا .. فهل نستبعد مع ذلك أن تسقط الرواية عن كلام المسيح فى المهد ؟ وإذا كان القرآن قد ذكر هذه الرواية .. فهذا أمر مؤكد .. وعقيدة يؤمن بها كل مؤمن إلا أننا نتساءل من منطلق الحرص على الحقيقة التى غفلت عنها الأناجيل ..

ولعل هذه الرواية أسقطت من الأناجيل لما تحمله من دلالات الاعتراف بالعبودية المطلقة لله تعالى :

* فهو قد أعلن أنه عبد الله .. فقال :

﴿ إنى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الكِتَابَ وَجَعلَنى نَبيًّا ﴾

فما هو إلا عبد نبى .. باعترافه لقومه .

---

(١) مريم : ٢٩ ــ ٣٣ .

* وقد إعترف ببشريته :

* فقد أوصى بالصلاة والزكاة .

* وكان بارًا بوالدته ..

فهل يمكن أن تذكر الأناجيل هذا الاعتراف القوى .. ؟

المعجزة الثانية : معجزة الخلق

● **﴿ ويعلّمُه الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ * ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جِئتُكم بآيةٍ من ربِّكُم أنّى أخلُقُ لكم من الطِّينِ كهيئة الطيرِ فأنفخُ فيه فيكُونُ طيراً بإذن الله وأبْرِىءُ الأكْمَه والأبْرَصَ وأُحْيِى الموتَى بإذنِ الله وأُنبِئُكُمْ بما تَأْكُلُونَ وما تدَّخِرُونَ فى بيُوتِكُمْ إنَّ فى ذلكَ لآيةً لكُم إنْ كُنْتُم مُؤمنينَ ﴾**(١)

وهذه معجزة لا ندرى كيف غفل عنها كتّاب الأناجيل مما يدل على أن كتابتهم كانت عفوية .. يدونون حسب إمكانياتهم البشرية ، ويروون ما وصل إلى معلوماتهم(٢)

وهذه المعجزة ـــ وسابقتها ـــ يرويها القرآن الكريم رغم أنه يرفض زعم بنوّة المسيح لله تعالى أو مشاركته فى الألوهية .. دون أن يكون فى ذلك أدنى تعارض .. فالله وحده القادر على أن يمنح من يشاء من خلقه مختلف القدرات .

وقد أوتى المسيح عليه السلام القدرة على أن يخلق من الطين كهيئة الطير ... أى يسوى من الطين كهيئة الطير .. ثم ينفخ فيه فيتحول إلى طير بإذن الله وهذا كله حدث بأمر الله تعالى ...

المعجزة الثالثة:إحياء الموتى :

جاء فى السياق بعد معجزة خلق الطير ، أن المسيح عليه السلام يبرىء

---

(١) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) ناقشنا مسألة الوحى فى الأناجيل ، وأظهرنا كيف أن الروايات كانت بشرية يؤكد ذلك مقدمة إنجيل (متى) ودلالات رسائل بولس وغيره .

الأكمه والأبرص وأنه يحيى الموتى بإذن الله ، ولم يطنب القرآن فى ذكر الروايات والأسماء التى أبرأها المسيح عليه السلام . فليست ذات حيثية فى أمر الإيمان ، فالمهم أن يعرف المؤمن نوعية المعجزة ويؤمن بوقوعها على يدى النبى بإرادة الله تعالى ..

وهذه المعجزات أطالت الروايات فى الأناجيل بذكرها . وكانت تأتى تارة فى صورة إجماع عليها من الأناجيل .. وأخرى تأتى على غير إجماع منها .. ويتفاوت هذا بين ورود الرواية فى إنجيل فقط ، أو فى إنجيلين ، أو فى ثلاثة ..

وربما كانت الرواية المفردة على درجة من الأهمية يجعل الانفراد بها مثار شك فيها كما أن إغفال بعض هذه الروايات فى إنجيل من الأناجيل يعد مثارًا لنفس الشك .. وإذا كنا قد أثرنا الشكوك حول روايات الأناجيل .. وكانت شكوكا موضوعية فإننا لم نُثِرْ أىّ شك حول حقيقة المعجزة أو المعجزات التى قام بها المسيح عليه السلام .. ولا يستطيع أحد أن ينكر هذه المعجزات .. وقد كان القرآن موضوعيا حين أشار إلى موضوع المعجزة دون تفاصيل رواياتها .. إذ الإيمان يقتضى الإيمان بالموضوع إجمالا ..

وهكذا كان شأن القرآن الكريم مع معجزات الأنبياء بصورة عامة ما لم يكن الأمر محتاجا إلى توضيح وتصوير كما حدث فى معجزة ناقة صالح عليه السلام .. وموقف سليمان عليه السلام من الهدهد وحكاية بلقيس وعرشها ...

المعجزة الرابعة : التنبؤ بالغيب :

وهى معجزة غفل عنها كتَّاب الأناجيل أيضاً حيث كان المسيح عليه السلام لديه القدرة على إخبارهم بما عندهم فى البيوت ﴿ **وَأنبئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فى بُيوتِكُمْ** ﴾ (١).

ولا شك أنهم على علم بما أكلوا .. وعلى علم بما يدخرون فى بيوتهم .. وهو حين يخبرهم بذلك إنما يعلن لهم أنه يتساوى معهم فى العلم بما عندهم رغم أنه لم

---

(١) آل عمران : ٤٩ .

يشاهد ما شاهدوه .. فكأنه بفضل له يعرف أسرارهم .. وفى ذلك ما يدفعهم إلى التسليم بأنه نبى يدعوهم إلى الخير .. ويعرف ما يصلحهم كما عرف ما يدخرون .. والله أعلم .

المعجزة الخامسة : معجزة المائدة :

● ﴿ **إِذْ قَالَ الحواريونَ يَا عِيسَى بْنَ مريم هَلْ يستطيعُ ربكَ أَنْ يَنزِّلَ عَلَينا مَائِدةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتقُوا اللهَ إنْ كُنتم مؤمنينَ * قَالُوا نُريدُ أنْ نأكُلَ منها وَتطمئنَّ قُلوبُنَا ونعلَمَ أَنْ قَدْ صَدقْتنَا ونكونَ عليها مِنَ الشاهِدِينَ * قَالَ عيسى ابن مريم اللهُمَّ رَبنَا أَنزِلْ علينا مائدةً من السماءِ تكونُ لَنَا عيدًا لِأَوّلنَا وآخرِنَا وآيةً مِنْكَ وارزقْنَا وأنت خَيرُ الرازقِينَ * قَالَ الله إنى مُنزّلهَا عليكُمْ فَمَنْ يكفُرْ بَعْدَ منكُم فإنى أُعذّبهُ عَذَابًا لَا أعذبهُ أحدًا مِنَ العالمينَ** ﴾[1]

عند استعراضنا لمعجزات المسيح عليه السلام حسب رواية الأناجيل عنها .. رأينا أن بعض اليهود طلبوا من المسيح عليه السلام أن يريهم آية من السماء فقال لهم إنهم جيل شرير يطلب آية ولا تُعطَى له آية ..

ولا نستطيع أن نزعم أن هذا الطلب هو نفسه الطلب الذى ترويه الآيات القرآنية إذ إن الآيات تحدد شخصية المطالبين بالمائدة وهم (الحواريون) الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام .

وقد رأى الحواريون كل معجزات المسيح عليه السلام فقد رأوا المعجزات تجرى على يديه فلقد برىء على يديه مرضى كثيرون .. وأحيا الله على يديه الموتى .. وهنا يودون أن يروا معجزة على غير يدى المسيح .. أرادوها من السماء مباشرة حتى يتأكد للجميع أن المسيح عبد الله ورسوله . والمعجزات التى جرت على يدى المسيح ربما ضلّ فيها أقوام .. فأرادوا أن يعلم الجميع أن عيسى رسول من الله .. لا يزيد على ذلك .. فطلبوا أن تنزل لهم مائدة من السماء .. تكون عيدا للإيمان وقد حددوا أهداف هذه المائدة :

---

(١) المائدة : ١١٢ ـــ ١١٥ .

- الأكل منها حتى تتأكد لهم حقيقة الإيمان برسالته .
- أن تطمئن قلوبهم للرسالة .
- أن المائدة شهادة على صدق المسيح عليه السلام .
- أن يشهدوا على المائدة ويشهدوا على صدقها ...

وقد توجه المسيح إلى الله تعالى يطلب منه أن ينزل عليهم مائدة آية منه تعالى .. وقد استجاب الله تعالى لرجاء عبده ورسوله المسيح عيسى عليه السلام فقال ﴿ **إنى مُنزِّلهَا عليكُمْ** ... ﴾ ولكن نزولها لم يكن سهلا بل كان لنزولها شروط .. ﴿ **فَمَنْ يكفُرْ بَعْدُ منكُمْ فإنى أُعذِّبهُ عذاباً لَا أعذبه أحدًا مِنَ العَالَمِينَ** ﴾ فقد تجلت إرادة الله تعالى لعباده ، وقدرته . فماذا يكون نتيجة ذلك .. ؟

إن الكافر بالمعجزة لا يستحق إلا العذاب الشديد من الله تعالى .. أما المؤمن فهو من الصديقين الذين اصطفاهم الله تعالى .. والله تعالى أعلم .

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما سبق أن قرأناه عن روايات الإشباع كما قَصَّتهَا الأناجيل . فهل يمكن أن يكون ما روته الأناجيل عن إطعام الآلاف من رغيفين ؟.. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك فالمائدة التى طلبها الحواريون من السماء .. كما أن هؤلاء الحواريين لم يكونوا آلافًا ... بل كانوا عشرات لا تصل إلى مائة والله تعالى أعلم ..

وقد نزلت المائدة من السماء حيث قال تعالى ﴿ **إنى مُنزِّلها عليكُمْ** ﴾ وإن للتوكيد ولعل هذا القول كان أثناء نزولها الفعلىّ عليهم .. ولم يرد نص آخر يدل على أنها لم تنزل .

المعجزة السادسة : معجزة الإنقاذ :

- **﴿ فلمَّا أحسَّ عيسَى منهُم الكفْرَ قالَ مَنْ أنصارى إلى الله قالَ الحوارِيُّونَ نحنُ أنصارُ الله آمنَّا بالله واشهدْ بأنَّا مسلمُونَ * ربَّنا آمنَّا بما أنزلتَ واتَّبعنا الرسولَ فاكْتبنَا مع الشاهدينَ * ومكرُوا ومكرَ الله والله خيرُ الماكرينَ * إذ قال**

الله يا عيسى إنّي متوفيكَ ورافعُك إلىّ ومطهرُكَ منَ الذينَ كفرُوا وجاعلُ الذينَ اتَّبعوكَ فوقَ الذين كفرُوا إلى يومِ القيامةِ ثم إلىّ مرجعُكُم فأحْكُم بينكم فيما كُنتم فيه تختلفُونَ ﴾(١) .

رغم ما فى الأناجيل من أحاديث مطولة عن نهاية المسيح نهاية تساير مقولات المنتسبين إليه من أنه صلب .. وقتله اليهود على الصليب .. إلا أننا نقرأ بين ثنايا هذه الروايات ما يفيد أن المسيح قد نجا من مطارديه(٢) فنراه مثلا يقول لكهنة المعبد (**حيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا** ..) .. وغير ذلك من إشارات ليس هنا مجال الإفاضة فيها ..

والآيات القرآنية التى بين أيدينا توضح حقيقة الأمر .

● فقد أحس عيسى بالكفر ينتشر فى الأرجاء وقد طلب من أتباعه أن يحددوا موقفهم ... حتى يكون هناك الفيصل بين الإيمان والكفر .. فقال لهم ﴿ **مَنْ أنصَارى إلى الله** .. ﴾ وهنا يعلن الحواريون أنهم أسلموا لله .. وهم أنصار الله .

وهنا يأتى المدد الإلهىّ :

* إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ..

* ورافعك الىّ ...

* ومطهرك من الذين كفروا ...

ولا ندرى حقيقة الوفاة .. ولا كيفية الرفع إليه .. ولا نعلم التطهير وحقيقته ..

فهذه أمور نؤمن بها وندع الأمر فيها لله تعالى ... فهو العليم الخبير ...

وصدق الله العظيم ﴿ **ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيرُ المَاكِرين** ﴾(٣) .

وهنا إشارة إلى التدبير والمكر للإيقاع بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ...

---

(١) آل عمران : ٥٢ ــ ٥٥ .
(٢) راجع : « المسيح فى المصادر المسيحية » تأليف : أحمد عبد الوهاب .
(٣) آل عمران : ٥٤ .

كما أن هنا بياناً لحقيقة التدبير الإلهي في مواجهة التدبير البشري **﴿ والله خيرُ الماكرين ﴾** .

المهم أن ندرك أن المسيح ما قُتِلَ وما صُلِبَ .. ولكن رفعه الله إليه .. ونؤمن بذلك يقينا .. والحمد لله رب العالمين ..

* * *

المعجزات فى الإنجيل وموقف المسلم منها

لقد منّ الله على المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وأنزل إليهم القرآن كتابا جامعا لخصائل الخير ومبينا لشريعة الاستقرار والفلاح فى الدنيا والآخرة وقد جاء القرآن يحمل من سماته الأساسية سمتين توضحان علاقته بالكتب السابقة ..

الأولى : أنه مصدق لما بين يديه من الكتاب فلم يأت مخالفا للحقائق الرسالية الإلهية .. وتأكيدا لذلك فقد صرح القرآن الكريم بأن حقيقة الرسالة واحدة لدى جميع الرسل ..

﴿ وما أرسَلْنا مَنْ قَبْلِكَ مِنْ رسُولٍ إلّا نُوحِي إليه أنّه لا إِله إلّا أنا فاعْبُدونِ ﴾ (١)

الثانية : أنه مهيمن على ما بين يديه من الكتاب فهو الحكم عليها والفاصل فى قضاياها .

قال تعالى : **﴿ وأنْزلنَا إليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لما بيْنَ يديهِ منَ الكتابِ ومُهَيْمِناً عليْهِ ﴾** (٢)

ولقد حصل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، على ورقة من التوراة .. فجاء بها وأخذ يقرأ فيها أمام رسول الله ﷺ فَتَلَوَّنَ وجهه ﷺ حتى أدرك الصحابة ذلك فصاحوا بعمر لينبهوه فلما رأى عمر الغضب فى وجه رسول الله ﷺ قال معتذرا :

ـــ أستغفر الله يا رسول الله ... فقال له النبى ﷺ ما معناه :

ـــ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ..

أى لقد جاءنا الوحى من الله بما تضمنته الكتب السماوية السابقة .. ويقاس ما جاء بهذه الكتب على ما جاء فى القرآن .. فإذا توافق ما جاء فيها وما جاء به القرآن فهو صحيح ، ونكتفى بالقرآن . أما إذا جاء فيها ما ليس فى القرآن فهو

---

(١) الأنبياء : ٢٥ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

على أحد وجهين :

ـــ ألا يخالف نصا فى القرآن .. أو يناقض حقيقة فيه .. وهذا كما رأينا روايات كثيرة عن شفاء مرضى على يدى المسيح عليه السلام ، وهذه الروايات لا تخالف نصا فى القرآن بل تتفق مع ما جاء فيه من أن المسيح عليه السلام يبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله .. ولكن لم ترد فى القرآن تفاصيل عن ذلك .. فهذا نتوقف فيه ولا نحكم عليه بالصدق أو الكذب .. وهذا ما ورد فيه معنى قول الرسول ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. لأنكم إما أن تكذبوهم فى حق أو تصدقوهم فى باطل .. » أو كما قال ﷺ .

ـــ أما إذا كان ما ورد فى الكتب السابقة مخالفاً لصريح القرآن الكريم فهو مرفوض ومنكر ولا نؤمن به ولا نثق فيه .. ولا حرج فى التنبيه على كذبه وزوره .. ونرجو أن يكون الأجر والثواب فى ذلك على الله تعالى .

ومثال هذا ما ورد فى التوراة من اتهامات تشين الأنبياء وتحط من شأنهم ..

ومثاله أيضا ما ورد فى الأناجيل والرسائل الملحقة بها من حديث عن المسيح وكأنه ابن لله تعالى أو أنه صلب كما يزعمون ..

وقد حكى القرآن الكريم عن اتهام أهل الكتاب بعضهم لبعض مما يوجب علينا أن نتقدم إليهم بالحقائق المفصلة فى القرآن الكريم لعل الله أن يهدى منهم قوما .. وينقذهم بنا من النار قال تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ اليهودُ ليسَت النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ وَقَالَتْ النصَارى ليست اليهودُ على شَيءٍ وَهُم يتلُونَ الكِتَابَ** ﴾(١)

فبالرغم من أن التوراة كتاب مشترك بينهم يكادون يؤمنون به جميعا إلا أنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى قاسم مشترك من التفاهم أو التقارب حول العقيدة والإيمان ..

ولهذا فإن المؤمن إذا اطلع على ما جاء فى الكتب السابقة فإنه يجب عليه أن يكون واعيا لعقيدته وأن يقيس ما يقرأه على ما يعتقده .

وأظن أننى قد لمست بعض الجوانب الهامة التى ينبغى على المؤمن أن يراعيها .

---

(١) البقرة : ١١٣ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

١٩٩٠/٤٦٥٩

I . S . B. .N
977 - 262 - OOO - G

هذا الكتاب

★ الأمر الذى لا شك فيه أن الإسلام جاء بتصديق ما جاء قبله من بعثات الرسل عليهم السلام فأنصفهم ورفع قدرهم بين أتباعهم قبل أعدائهم . بل طالب أتباعه بالإيمان ببعثات الرسل قبله على الوجه الصحيح الذى أنزله الله ، لا على ما افتراه أو ابتدعه البعض ، لذلك جاءت رسالته نقية واضحة بعيدة عن الفلسفات والكهنوت .

★ وهذا يؤكد أن المعجزة فى دين الإسلام قد وُضعت فى موضعها الصحيح تأكيداً لبشرية الرسول ﷺ وعبوديته لله لا كما حدث مع الآخرين فلم يفهموا منطق التحدى فى المعجزة بل صرفوها إلى تأليه من أرسل بالمعجزة

★ وكأنهم لم يخرجوا بتفكيرهم عن حدود عبّاد النار والشمس والقمر أو سكان الأدغال والغابات الذين يرون الأشياء تعمل بذاتها من هنا جاءهم البعد عن طريق الهدى والرشاد .

★ وقد تعرض هذا الكتاب لمعجزات المسيح سواء منها ما اتفقت الأناجيل فيها مع القرآن كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أو تلك التى انفرد بإثباتها القرآن فلم يرد لها ذكر فى الأناجيل

دار البشير

دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤ الطريق العالى الزراعى ص . ب ١٦٩ العاشر . ت ٢١٨٧٣٦٨٠